التربية الإسلامية للبنات

الأستاذ

موسى الخطيب

٢٠٠٥

المكتبة المصرية

للطباعة والنشر والتوزيع

٣ ش أحمد ذو الفقار – لوران الإسكندرية

تليفاكس : ٠٠٢/٠٣/٥٨٤٠٢٩٨

محمول : ٠١٢٤٦٨٦٠٤٩

الإهداء :

إلى كـــل أب مسلم .. و إلى كل أم مسلمة تؤدى حق زوجها و تعرف واجبها نحو تربية أولادها و خصوصاً البنت كفتاة مسلمة و زوجة صـــالحة و أمـــا مؤمنة ، ولأن فى صلاحها كل الخير و الفلاح للمجتمع المسلم ..

و صدق الشاعر العربى حافظ إبراهيم حين قال :

الأم مدرســـــة إذا أعددتهـــــا	أعـــددت شعباً طيب الأعراق
الأم روض إن تعهّـــده الحيـــا	بالـــرى أورق أيمـــا إيـــراق

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحابة و أنصاره و أولاده و زوجاته الشريفات الطاهرات أمهات المؤمنين إلى يوم الدين أما بعد ..

فقـد جـاء الإسـلام بشـريعة عادلـة حكـيمة فيما يتعلق بشئون الحياة و نواحيها ، و يتضح هذا بجلاء في نظرته إلى البنت بالنسبة للولد و إلى السيدة بالنسبة للرجل .

فتاريخ المرأة قبل الإسلام كان مزرياً و مهيناً لمكانتها ، فمعلوم أنها كانت تُوأد بنتاً ، فهي من لحظة ولادتها مكروهة مسخوط عليها غير مرغوب فيها ، فما بالك بعد أن يبدأ عودها يشتد ، لقد كانت رمزاً للعار لأهلها ، وجاء الإسلام فأبطل هذا كله .

إن الإسـلام قد أعلى شأن المرأة إلى حدود لم تصل إليه أرقى شرائع بني البشر حتى الآن .. أكرمها الإسلام بنتاً و فتاة و زوجة و أماً و جدة و أختاً .

ولكـن رغـم هذا كله فقد تكشف لنا – من خلال مؤتمر المرأة العالمي الذي أنعقـد في الصـين مؤخراً في العام ١٩٩٥ – أن وأد البنات على سبيل المثال ما زال موجوداً صحيح أنه في بلاد وشرائع أخرى غير الإسلام ولكنها موجودة .

ففي الصين على سبيل المثال يئدون البنات لأنهم مقيدون هناك بطفل واحد وهو ما دام طفلاً واحداً فليكن ولداً لا بنتاً فإذا جاء المولود بنتاً فلتوأد . وإذا نفذ الأمر قاموا ببيع البنت خفية وقبل تسجيلها .

وفي الهند حتى الآن لا يعترفون بالبنات فيئدوهن أيضاً ، وإذا كبرن وتزوجن يحرقن مع أزواجهن .

وكان من نتاج الحضارة المادية الحديثة في أوروبا وأمريكا (الغازية وهي التي تقود الدنيا كلها الآن) أن تحولت المرأة إلى حريم مشاع للجميع أو كما يقول الأستاذ أحمد موسى سالم (حريماً مفتوحاً في المطاعم و الفنادق و على الأرصفة و تحت أشجار الحدائق العامة و بجوار حوائط الليل المظلمة – و في ساحات المراقص اللعوب والأحفال الساهرة فكل من شاء يفعل ما يشاء مع من يشاء و من تشاء .. أنة عنوان التحرر من الخلق و العفاف و ضوابط النسل و حدود الله في الأسرة) ..

وكان هذا هو البديل عن عصر الحريم القديم المغلق الذي ورثته إياها الحضارتين اليونانية ثم الرومانية ، إنه القسمة الجديدة المباحة للجميع والمهلكة للأسرة في العالم كله) .

وكل مسلم يخاف على دينة وعلى أمتة من هذه الحضارة التي نسيت الله والوحي وأرضت العنان للغرائز الحيوانية تعربد دون وعي .[1]

---

(١) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة / محمد الغزالي ص ٣٥

إن لـــلمرأة في الســـلام حقوقها كثيرة لم تصل إليها المرأة الأوروبية نفسها أو الأمريكية إلا مؤخراً .

هذا الكتاب بيان لمكانة البنت في الإسلام واعتناء الإسلام بها في مراحل نموها بـــين المـــراهقة والنضـــوج ، فـــتاة وزوجـــة ، أخـــتاً وأمـــاً . ثم تعرضـــنا لمشـــاكل الفـــتاة المســـلمة ممـــا يواجههـــا في المجتمع من فتن واختلاط وكيفيـــة حـــلها في الإســـلام وبمنهج الله ، ولم نترك الفتاة هكذا بل أعطيناها نصائح وتوجيهات ترشدها في هذا البحر المتلاطم الأمواج .

أسأل الله أن يجعل هذا الجهد في ميزان حسناتي ،،

والله من وراء القصد

وهو يهدى إلى سواء السبيل

المؤلف

دكتور / موسى الخطيب

المبحث الأول

البنت ومكانتها في الإسلام

كانت البنت في الجاهلية ينظر إليها نظرة ازدراء ، وكان الرجال يتشاءمون من البنت و يرون أنها سلعة تباع و تشترى لا قيمة لإنسانيتها و لا اعتبار لرأيها .. وأكثر من ذلك لا حق لها في الحياة .كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " والله إن كنا في الجاهلية . ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم " .

وكان كثير من العرب يئدون بناقم . وتسود وجوههم إذا بشروا بالبنت ، وإن أبقوها مهانة ، لا يورثونها ولا يهتمون بها ويفضلون الذكور عليها ، وصدق الله العظيم ، إذ قال في كتابة العزيز : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [النحل : ٥٨ ، ٥٩] .

وقال أيضاً ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير : ٨ ، ٩] .

وقد كان العرب يئدوا البنات ، إما من فاقة أو خشية أو عار يأتينه متى كبرن حتى قال قائلهم " دفن البنات من المكرمات "

يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية : وكان الوأد يتم في صورة قاسية ، كانت البنت تدفن حية ، وكانوا يفتنون في هذا بشتى الطرق ، فمنهم من كان إذا ولدت له بنت تركها حتى تكون في السادسة من عمرها ، ثم يقول لأمها طيبيها

وربيها حتى أذهب بها إلى أحمائها . ' وقد حفر لها بئر في الصحراء ، فيبلغ بها البئر ، فيقــول لها : انظري فيها ، ثم يدفعها دفعاً و يهيل التراب عليها ، وعند بعضهم كانت الوالــدة إذا جاءها المخاض جلست فوق حفرة محفورة ، فإذا كان المولود بنتاً رمت بها فيها وردمتها ، وإن كان أبناً قامت به معها ! وبعضهم إذ نوى ألا يئد المولودة أمسكها مهينة إلى أن تقدر على الرعي ، ثم يلبسها جبة من صوف ويرسلها لترعى له غنمه

لقد كانت المرأة بين وثنيي العرب معتبرة سلعة محضة ، فإذا مات رجلها ورثت فــيما يورث ، حتى كان للابن الوارث أن يفترس زوجه أبية أو أمتة ، كما كان له أن يهــبها لمن شاء ، وأن يبيعها لمن شاء ، هذا عند وثنيي العرب . و لم تكن منزله البنت اليهودية عند أبيها أرفع شأناً من ملك اليمين . فقد كان للأب أن يبيع أبنته قبل بلوغها ، كما كان لأبنه الذكر أن يفعل ذلك .

فأمــا الذين لا يئدون البنات ولا يرسلونها للرعي ، فكانت لهم وسائل أخرى لإذاقتها المذلة و الهوان ... كانت إذا تزوجت ومات روجها جاء وليه فألقى عليها ثوبه ، ومعنى ذلك أنه يمنعها عن الناس فلا يتزوجها أحد ، فإن أعجبته تزوجها دون رغبتها وإن لم تعجبة حبسها حتى تموت فيرثها ، أو أن تفتدى نفسها منه بمال فى هذه الحالة أو تلك

كانت هذه هى نظرة الجاهلية إلى المرأة، حتى جاء الإسلام يشنع بهذه العادات ويقبحها ، وينهى عن الوأد ... ويجعلها موضوعاً من وموضوعات الحساب يوم القيامة ، ويقول : أن المؤودة ستسأل عن وأدها فكيف بوائدها؟!

ومــا كان يمكن أن تنبت كرامة المرأة فى البيئة الجاهلية أبداً لم تكن المرأة عند (اليونــان) أرقــى الأمم القديمة حضارة ، أسعد حالاً ولا أوفر حظاً " و لم تكن المرأة

عـ ـدهم إلا خـــلفاً مـــن الـــدرك الأســـفل ، في غايـــة مـــن المهانـــة والـــذل في كـــل جـــانب مـــن جوانـــب الحيـــاة الاجـــتماعية ، وأما منازل العز والكرامة في المجتمع فكانت كلها مختصة بالرجل . وبقى هذا السلوك قبل المرأة في أول عهدهـــم بالنهضـــة المدنيـــة عـــلى حـالـــه وربمـــا تخللـــته تعديـــلات قليلة ،، .

"ثم جعـــلت الشـــهوات النفســـية تتغلب على أهل اليونان ويجرف بهم تيار الغرائـــز البهيمية والأهواء الجامحة ، فتبوأت العاهرات والمومسات مكانة عالية في المجتمع لا نظـــير لهـــا في تاريخ البشرية كله ، وأصبحت بيوت العاهرات مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع ".[1]

كمـــا أن فلاســـفة اليونان ، وقد أفاض المتحدثون عن تراثهم الفلسفي ، لم ينصـــفوا المرأة ولا أعزوا جانبها ولا أعلوا مكانتها بل أن تاريخ أولئك الفلاسفة ملطخ بالعـــار موغـــل في الشـــذوذ والإسفاف وليـــس يعذرهم في انطـــلاق الشهوات أن تنحرف أو تستقيم ..!

" فكانت النتيجة أن خضعت لأخلاقهم وغرائزهم الشهوانية ديانتهم أيضاً ، انتشرت فيهم عبادة " أفروديت" التي كان من قصتها عندهم في الأساطير أنها خانت ثلاثة آلهة مع كونها زوجة إله خاص .. وأيضا كان من إخوانها رجل من عامة البشر ، علاوة على تلك الآلهة . ومن بطنها تولد "كيوبيد" إله الحب نتيجة اتصالها بذلك الخدن البشري . فما رأيك في أخلاق أمة وانحطاطها المعنوي والخلقي اتخذت من هذه الطباع رمزاً للكمال ، بل إلهاً يُعبد !!! وتُقدم له جميع آداب العبودية والذل

---

(١) الحجاب : (أبو المودودي)

والخنوع " . و تروى مصادر التاريخ أنه في مثل هذا العصر اليوناني، البالغ الانحطاط ظهرت في الهند " بام مارك " و في فارس " المزدكية " وكلتاهما تقدّس عبادة الشهوة .. وكذلك تفشت الفحشاء في " بابل " فكان ينظر إليها بعين التقديس والإجلال .[1]

وتــاريخ الرومان ليس أشرف من تاريخ اليونان ، ونزوات القياصرة لا تعرف حدوداً ، وامتلاء القصور بالنساء أمر مألوف . سواء كن إماءً أو حرائر ..[2]

وقــد حــاولت المسيحية أن تكفكف هذه الغرائز الجامحة بالرهبانية الصارمة فكانت كما قال الشاعر :

إذا استشفيت داءٍ بداء فأقتل ما أعلّك ما شفاكا

حــتى جــاء الإســلام ومــا تــنزل شــريعة ومــنهاجاً في تكــريم الإنسان الذكر والأنثى وفي رفعه إلى المكان اللائق بكائن حي يحمل نفحة من روح العلي الأعلى ، فمن هذا المصدر انبعثت كرامة المرأة التي جاء بها الإسلام .

وقد عمل الإسلام بعد ذلك على إزاحة عقدة التشاؤم بالأنثى من نفس الفرد ومــن نظــر المجتمع ، وغرس مكانها عقيدة راسخة ، تحرك النفس اشتياقا لها . وتغمر الشعور فرحاً بها . حتى أمسى ميلادها يُستقبل من الوالد و الأسرة والأصدقاء بالتهليل والتكبير والترحيب [3] وأصبح حديثاً سعيداً يستوجب الزيارة والتهنئة والدعاء .

---

(١) تحفة العريس والعروس في ضوء الإسلام / محمد علي قطب ص ١٨

(٢) قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة / محمد الغزالي ص ٣٤

(١) كما ورد في الحديث أبنه عمر ﷺ ، أنظر ابن القيم الجوزية، تحفة المولود بأحكام المولود (١٧٧)

وأوجب الإسلام على الأب أن يحسن اسم أبنته وأن يذبح عنها شاه يدعو إليها مـــن شاء من الأهل والأقارب والجيران والناس علامة على فرحته بها ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنة قال :

" إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم و بأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسمائكم "[1]

و قال النبي ﷺ أيضاً :

" كـل غـلام رهيـن بعقيقـة تذبح عنه يوم سابعه ، و يسمى فيه ، و يحلق رأسه "[2]

ثم جعـل بعـد ذلـك إكـرام البـنات والاعتـناء بهن ، واجباً على الآباء وأولى الأمـر ، ومسئولية عظيمة مناطة في أعناقهم ، سوف يحاسبون عنها يوم القيامة حساباً عسيراً !

وقـد بقى الإسلام يحث على معاملة الأنثى بالحسنى ، ويدعو إلى ذلك ، تارة بالموعظة ... وتارة أخرى بالقدوة ...!

فكـان رسول الله ﷺ يحمل أمامه بنت زينب على ملأ من الناس . وفي أثناء الصلاة ، فإذا سجد وضعها ، وإذا قام حملها ، فعن أبي قتادة الأنصاري ﷺ قال: **" كان رسول الله ﷺ يصلى و هو حامل أمامه بنت زينب ، فإذا سجد وضعها ، و إذا قام حملها "[3]**

---

(١) رواه أبو داود بإسناد صحيح

(٢) رواه أبو داود والترمزي.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وكأنه ﷺ بعمله هذا يقول للناس في اكبر جمع هم ... أن الإسلام لا يستحي من الأنثى ، وإنما يدعو إلى حملها وإكرامها حتى لحظات الخشوع لله تعالى .

ونظرة الإسلام هذه ، ليست حكراً لبنات فئة من الناس ، إنما هي شاملة لجميع الإناث بما فيهن بنات الإماء و العبيد ، فعن النبي ﷺ أنه قال :" **ثلاثة لهم أجران ... ورجــل كــانت عــنده أمــه – مملوكة – فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها** "(١)

ومــن حســنات الإسلام أيضاً على المرأة المسلمة : أن كانت النساء لا يؤول إليهــن من الميراث شئ في الجاهلية وجاء الإسلام فأختص النساء بنصيب مما ترك أهلها فــلذلك قول الله تعالى : **﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِـيبٌ مِمَّـا تَـرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنهُ أَو كَثُرَ نَصِيباً مَفْرُوضاً﴾ [النساء: ٧]**

وقــد ضــرب ﷺ المــثل الأعــلى في معامــلة المــرأة فكــان يقــول : " **خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي** " وعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ " **استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ، و إن أعوج شيء فى الضــلع أعلاه ، فإذا ذهبت تقيمة كسرته ، و إن تركتة لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء** " (٢)

---

(١) فتح الباري ، ج١ ، ص١٩٠ ، كتاب العلم.

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة.

و قــالت أم المؤمــنين عائشـــة رضـــى الله عـــنها قـــال رسول الله ﷺ :
" إنما النساء شقائق الرجال " (١)

و قـــال تعـــالى : ﴿ يَـا أَيُّهَـا الـنَّاسُ إِنَّـا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَ أُنثَى وَجَعَلْـنَاكُم شُـعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَ أَكرَمَكُم عِندَ الله أتقاكُم إن الله عَليم خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٣]

وأعطـــى الإســـلام للبنت مطلق الحرية فى اختيار شريك حياتما فجمع بذلك بيـــن جعل التزويج لولى الأمر ، وحق البنت في قبول من ترضاه من الأزواج ورد من لا ترضـــاه ، فمـــنع الأولياء من الاستبداد فى تزويج بنالهم و أخوالهم ، بغير رضاهن ، و كـــان مـــن ظلم الجاهلية لهن بل ما يزال بعض الآباء يكرهون بناقم على الزواج بمن يكرهون من الرجال بغية عرض دنيوي .

إنه اختيار المرأة للرجل ، كاختيار الرجل للمرأة ، وليس لأحد أن يجبرها على رجـــل لا تهـــواه ، ولا تقـــبله . بـــل إن الزواج يكون باطلاً إذا لم يكن برضا الفتاه واختيارها، وهـــذا دليل كامل على أن دين الله حق ويشهد لحرية المرأة في اختيار زوجها ى عـــن أبن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : "الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن في نفسها ، وإذنها صمتها " (٢)

(١) رواه الترمذي وأبو داود وأحمد والدارمي.
(٢) رواه الجماعة إلا البخاري أنظر نيل الأوطار ١٢٠/٦ .

وعـــن خنساء بنت خزام الأنصارية : "**أن أباها زوجها وهي ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها** " [1]

ومن خلال هذه الأحاديث والنصوص يتضح أن الإسلام لم يعتبر المرأة جماداً أو حيوانـــاً يباع و يشترى ، بل هى فى نظره مخلوق مكرم ، لها كيانها ورأيها ، وكلمتها وحريتها .

كمـــا أعطـــى الإســـلام لـــلمرأة حقهـــا فى العمـــل إذا كان ضرورياً لها ويتناسب مع طبيعتها ، كما قص علينا القرآن الكريم فى قصة سيدنا موسى علية السلام وابنتي الرجل الصالح ، يقول تعالى على لسان موسى عليه السلام : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا ﴾ فتجيبان ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَ أَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص: ٢٣].

فلولا هذه الضرورة لما خرجتا للعمل ولما تعرضتا للاختلاط بالرجال .

المساواة في الإسلام :

وقد ساوى الإسلام بين الذكران والإناث في جميع التكاليف الشرعية ، إلا في الأحـــوال الخاصة قليلة ، كما ساوى بين المتعاقدين في الحقوق المدنية ، وجعل لكل أن يتقاضـــى حقه من الآخر ، وأن يبيع ويشتري ويعقد ما شاء من العقود ، ما دام عاقلاً رشيداً .

جـــاء بذلـــك الإسلام منذ ثلاثة عشر قرناً ، فتمتعت النساء بما ملكت أيمانهن مـــن أموال وأعيان من غير توقف على إذن زوج أو تقرير مسيطر ، مع أن معظم أمم أوربـــا لم يطـــلقوا العـــنان للمرأة أن تتصرف فيما ملكت يدها ، اللهم إلا ما أدخلته

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، ج٣ ، ص ٢٥٠ ، بحاشية السندي

الحكومـــة الإنجليزية ، وقليل غيرها من أهل أوربا ، منذ خمسين سنة ، من القوانين التي خولت للمرأة فيها شيئاً من ذلك ، و لم يكن هذا معروفاً فيهم من قبل وقد كانت المرأة لا تكـــاد تمـــتاز عـــن حيوانـــات العجم ، لا تقرأ ، و لا تفهم ، و لا تستفتي في أمر ولا تقضي ولا تأمر و لا تنهى ، فهلا علمت ما فعل الإسلام ؟ جاء النبي فكان في بيته أحســـن أســـوة للمسلمين ، وما زال ﷺ تُـــنـزل علية الآيات من شأن النساء ، حتى أصبحت " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف "

أوجـــب الله تعـــالى تعلم العلم على كل مسلم ومسلمة ، كما أوجب على أمهـــات المؤمنين أن يعلمن الناس ذكورهم وإناثهم " وذكران ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة " فكان الرجل

" وكـــان ما كان في الجاهلية " يأتي إليهن ويستفتيهن ويتلقى ما يلقينه من أحكام الله ومكارم الأخلاق ، وبذلك أخذت عقول الرجال ترجع إلى رشدها ، وتعلم أن لا دخل لاختلاف الصنف ، أو الشعوب أو الأمم ، في التفاضل .

فقـــد جعـــل الله التفاضـــل بـــين الكائـــنات تابعـــاً لمـــا فيها من الفضل والمـــزايا والخصيصـــات " الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبـــما أنفقوا من أموالهم " لم يقل الله أن الرجال قوامون على النساء ، مسيطرون عليهن بمقتضـــى الفطـــرة البشـــرية ، أو لأن عقولهم تخالف عقولهن ، ولكن الله جعل إنفاق الرجـــل على المرأة من علل الفضل ، كما جعل من العلل أيضاً ما قد يمنح الله القوامين عـــلى النساء من المزايا ، ولولا ذلك ما كان للرجل قوامة على المرأة ، ومن ذا الذي يستطيع أن يعقد فضل بدوي عقلة أخلى من أرض البادية على المرأة التي وصلت الليلي بالأيـــام في طـــلب العـــلم ، حتى تثقف عقلها و تهذبت نفسها . كلا إن الله لم يجعل التفاضل إلا حيث يكون ما منح من الفضل كما قال : " هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون " وقال : " **هل يستوي الأعمى و البصير . أم هل تستوي الظلمات و النور** "

أباح الشرع للمرأة ، ما دامت من أهل التصرف في مالها ، أن تتزوج بنفسها ، وأن توكل غيرها في زواجها ، ولا اعتراض عليها إلا أن تضع المرأة نفسها في يد غير كفء ، فهناك يعترض الولي عليها ويطلب من القاضي فسخ زواجها جعل الشارع للمرأة أن تشترط في صلب عقدها أن يكون أمرها بيدها تطلق نفسها من الرجل متى شاءت .

ففي الدر " **أن تزوجها على أن أمرها بيدها صح** " قال ابن عابدين : " **هذا مقيد بما إذا ابتدأت المرأة فقالت : زوجتك نفسي على**

أن أمري بيدي ، فقال الزوج : قبلت "

ولقد يعترض على قسمة المواريث من لم يتدبر ، إذ قضى للمرأة أن يكون لها نصف نصيب الرجل فيتوهم أن في هذا إجحافا بحقوقها، ولكنا عند التأمل نجدها قد زاد حظها و جل نصيبها ، وذلك أم المرأة كما سيأتي عالة على الرجل في معظم أدوار حياتها ، فيجب عليه شرعاً أن ينفق عليها ، ويأتي إليها بمطالبها ، كما يقتضيه عرف القبيلة الذي هما فيه . فإذا كلف الشرع القوامين عليها من الرجال أن يقوموا بجميع حاجاتها بالمعروف ، فتقدير الشارع لها حظاً من المواريث غاية في الرأفة بها ورعى جانبها والعناية بشأنها فأين حجر الإسلام على المرأة وأين التضييق عليها من هذه المسامحة ؟

لقد كان الإسلام كريماً مع المرأة .. وتبياناً لهذه المسائل عموما (نزلت سورة النساء الكبرى وسورة النساء الصغرى الطلاق) في القرآن الكريم و فيهما كل ما يتعلق بشئون النساء .

المبحث الثاني

تربية الإسلام للبنت و هي طفلة

في مدارج الصبا

أعطـــى الإسلام للبنت حق النشأة الطيبة باختيار أم طاهرة ، هي الوعاء الدي تنمو فيه . فيقول النبي ﷺ : " **إياكم وخضراء الدمن** " قالوا : " **وما خضراء الدمن يـــا رســـول الله ؟** " قال : " **المرأة الحسناء في المنبت السوء** " ويقول الرسول ﷺ : " **تـــنكح المـــرأة لأربـــع : لمالهـــا وجمالها وحسبها ودينها فأظفر بذات الدين تربت يداك** " .

وقـــد عمل المجتمع على إزاحة عقدة التشاؤم بالبنت من نفس الفرد ومن نظر المجتمع ، وغرس مكانها عقيدة راسخة ، تحـــرك النفس اشتياقا لها وتعمر الشعور فرحاً بها . حتى إذا جاء يوم ميلادها أستقبلته الأسرة والأصدقاء بالسرور والتهليل والترحيب! وأصبح ميلادها حدثاً سعيداً يستوجب البشارة والتهنئة .

ومـــن الأحكام التي شرعها الإسلام للمولود سواء كان ذكراً أم أنثى : الأذان في أذنـــه الـــيمنى والإقامة في أذنه اليسرى ، وذلك بعد الولادة مباشرة ، لما روى عن البيهقى وأبن السني عن الحسن بن على عنﷺ قال : " **من ولد فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان** "[1]

---

(١) أم الصـــبيان هى الريح التى تعرض للولد، فربما يخشى عليه منها، وقيل: هى المتابعة من الجن وهى المسماة عند الناس بالقرينة .

وسر الأذان والإقامة – كما ذكر ابن قيم الجوزية في كتابة " تحفة المولـــود":
ن يكــون أول مـــا يقرع سمع الإنسان كسات النداء العلوي المتضمنة لكبرياء الرب وعظمته ، والشهادة التي أول ما يدخل بها في الإسلام ، فكان ذلك كالتلقين له شعار الإسلام عند دخوله إلى الدنيا كما يلقن كلمة التوحيد عند خروجه منها ، وغير بعيد وصول أثر الأذان إلى قلبه وتأثره به وإن لم يشعر " .

وفي ذلك أيضاً فائدة أخرى وهي هروب الشيطان من كلما الأذان وإذا كان يرصده حتى يولد ، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به .

وفي هذا المعاني التي أفاض فيها ابن القيم رحمة الله ، أكبر دليل على اهتمام النبي ﷺ بعقيدة التوحيد الإيمان ومطاردة الشيطان ،من حين أن يشم المولود رائحة الدنيا ، ويتنسم نسائم الوجود.

ومــن الأحكــام التي شرعها الإسلام أيضاً للمولود استحباب تحنيكة عقب الــولادة ، والتحــنيك معــناه مضــغ الــتمرة ، ودلــك حــنك المولــود بهــا وذلك بوضع جزء من الممضوغ على الإصبع ، وإدخال الإصبع في فم المولود ثم تحريكه يميناً و شمالاً حتى يتبلغ الفم كله بالمادة الممضوغة . تطبيقاً لسنة النبي ﷺ وإقتداء بفعله .

ولعــل الحكمة في ذلك هي تقوية عضلات الفم بحركة اللسان مع الحنك مع الفكــين بالتمــلظ ، حــتى يتهيأ للمولود لالتقام الثدي ،وامتصاص البن بشكل قوى وطــبيعي ،.ومن الأحاديث الدالة على أستحباب التحنيك ما جاء في الصحيحين من حديــث أبي برده ، عن أبي موسى ﷺ قال : ولد لي غلام فأتيت به النبي ﷺ فسماه إبراهيم وحنكة بتمرة ، ودعا له بالبركة ، ودفعة إلي .

وأوجب الإسلام على الأب أن يحسن أسم أبنته ، وأن ينتقي لها أجمل الأسماء ، تنفيذاً لما أرشد إلية ، و أمر به نبينا محمد ﷺ . فقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

" **إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم و بأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسمائكم** " .

وأن يذبح عند ولادتها شاة يدعو إليها من شاء من الأهل والأقارب والجيران علامة على فرحته بها وبقدومها ، فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : " **كل غلام رهين بعقيقته تذبح عنه يوم سابعه ، و يسمى فيه و يحلق رأسه** "[1]

وطالب الإسلام الأمهات برضاعة البنت رضاعة مثمرة ، كما يقول الله تعالى :
﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ **[البقـرة : ٢٣٣]** بحيث يتبع ذلك غذاء كاف للنمو السليم.

وتعويدها على العادات الطيبة وفى أولها : (آداب المائدة) فقد حدث لما تزوج النبي ﷺ أم سلمة كان لها ولد صغير يسمى عمر ، لاحظ النبي ﷺ أنه لا يحسن آداب المـائدة فعلمة في كلمات " **يا غلام ، إذا أردت الطعام فسم الله تعالى و كل بيمينك و كل مما يليك** "

إن الـنبي ﷺ قد أهتم بتلقين الطفل سواء كان ذكراً أم أنثى منذ نشأته أصول الإيمان وأركان الإسلام ، وأحكام الشريعة ، وتأديبة على حب رسول الله ﷺ و حب آل بيتة ، وحب الأصحاب والقواد الفاتحين وتلاوة القرآن الكريم ... حتى يتربى الطفل

---

(١) رواه أبو داود والترمذى .

عـــلى الإيمـــان الكـــامل والعقيدة الراسخة ... حتى إذا ترعرع وكبر لم يترعرع إيمانه بتداعيات أهل الفكر والضلال !!

فـــإذا ربيـــنا الطفـــل عـــلى هـــذه الأســـس ضمنا سلامة عقيدته من الزيغ والإلحاد والانحراف .

وقـــد نصـــح أبـــن سينا في كتابه السياسة بالبدء بتعليم الطفل القرآن الكريم بمجـــرد استعداده جسمياً وعقلياً لهذا التعليم ، ليرضع اللغة الأصلية، وترسخ في نفسه معالم الإيمان .

كمـــا أشـــار أبـــن خـــلدون في مقدمـــته إلى أهميـــة تعليم القرآن للأطفال وتحفيظه وأوضح أن تعليم القرآن هو أساس التعليم في جميع المناهج الدراسية في مختلف البلاد الإسلامية لأنه شعار الدين الذي يؤدي إلى تثبيت العقيدة ، ورسوخ الإيمان .

وأوصـــى الإمـــام الغـــزالي في إحيائـــه : (بتعلـــيم الطفـــل القرآن الكريم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار ، ثم بعض الأحكام الدينية).

ومن الأحاديث النبوية الدالة على ذلك :

مـــا رُوى عن النبي ﷺ أنه قال : " **أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حب نبيكم ، وحب آل بيته ، وتلاوة القرآن** "[1]

مـــا رواه الحـــاكم عن أبن عباس ﷺ أنه قال : " **افتحوا على جنايتكم أول كلمة بلا إله إلا الله** " .

---

(١) رواه الطبراني.

ما رواه الحاكم وأبو داود عن ابن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : " **مـــروا أولادكـــم بالصـــلاة و هم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع** " .

ويقـــاس على الصلاة الترويض على بعض أيام الصوم إذا كان الطفل يطيقه . وتعويده الحج إذا كان الأب يستطيعه .

وما رواه عن النبي ﷺ أنه قال " **الرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها** "[1]

والسر في ذلك ، حتى يتعلم الطفل أحكام هذه العبادات منذ نشأته و يعتاد أداءها والقيام بها منذ الصغر ، وحتى يتربى كذلك على طاعة الله والقيام بحقه ، والشكر له ، والثقة به ، والاعتماد عليه ، وحتى يجد في هذه العبادات أيضاً الطهر لروحه ، والصحة لجسمه ، والتهذيب لخلقه والإصلاح لأقواله وأفعاله !!

وحيـــنما يســـير الآباء والأمهات في تأديب الأبناء والبنات على هذه الأسس والقواعـــد ، يستطيعون في فترة زمنية بسيطة أن يُكوِّنوا جيلاً مسلماً مؤمناً بالله ، معتزاً بديـــنه ، مفتخراً بتاريخه وأمجاده ويستطيعون كذلك أن يكونوا مجتمعاً نظيفاً طاهراً من الإلحاد والحقد والجريمة .

والإســـلام أمـــر بتعلـــيم الفـــتاة العـــلم الـــنافع والثقافة المفيدة لها فى دينها ودنياهـــا ، وأن تقـــول الشـــعر الحكـــيم الرصـــين ، والكـــلام المحكـــم المجيد ... ومن المعلوم تاريخياً أن أول آية نزلت على قلـــب رســـول الله محمد ﷺ هذه الآيات :

---

(١) رواه البخارى ومسلم.

﴿ اقْـرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۞ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۞ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق : ١-٥]

ومـــا ذاك إلا تمجيد لحقيقة القراءة والعلم ، وإيذان لرفع منار الفكر والعقل . وفتح لباب الحضارة على مصراعيه

وأمـــر الـــنبي ﷺ البنات البالغات واللاتي تكن في حالة حيض في عيد الفطر والأضـــحى يتعـــلمن ما ينفعهن من تعاليم الإسلام لقول أم عطية الأنصارية رضي الله عنها: **" أمرنا رسول الله ﷺ أن نخرج في الفطر و الأضحى العواتق و الحيض و ذوات الخـــدور ، فأمـــا الحيـــض فيعـــتزلن الصلاة و يشهدن الخير و دعوة المســـلمين . قالت: يا رسول الله إحداهن ، يكون لها جلباب. قال لتلبسها أختها من جلبابها "[1]**

ومما يدل على أن الإسلام أعتني بالبنت من ناحية تعليمها هذه الأحاديث النبوية الصحيحة :

روى الـــترمذي وأبو داود واللفاظ له أن النبي ﷺ قال : **" من كان له ثلاث بنـــات أو ثلاث أخوات ، أو بنتان أو أختان فأدبهن و أحسن إليهن وزوجهن فله الجنة ".**

وقـــد ثـــبت في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ كان يخص النساء بأيام يُعلّمن فيها مما علمه الله ، وذلك لما جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، ذهب الرجال

---

(١) رواه البخاري ومسلم .

حديثك فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي فيه تعلمنا مما علمك الله . فقال ﷺ اجتمعن يوم كذا وكذا . فأجتمعن فجاء رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله

وثبت أن الشّفاء بنت عبد الله المهاجرة القرشية العدوية علمت حفصة أم المؤمنين الكتابة بإقرار من رسول الله ﷺ .

وقد ثبت تاريخياً أن المرأة في ظل الإسلام وصلت إلى أعلى درجات العلم والثقافة ونالت أكبر قسط من التربية والتعليم في العصور الإسلامية الأولى .

فكانت منهن الكاتبة والشاعرة ، كأمثال عائشة بنت أحمد بن قادم وكانت منهن الطبيبة كأمثال زينب طبيبة بني أود التي عرفت بعلاج أمراض العيون ، وكان منهن المحدثات كأمثال كريمة المروزية ،والسيدة نفيسة ابنة محمد ، وهذا أكبر دليل على ما تمتاز به التربية الإسلامية من العناية بالعلم والنبوغ الفكري ، والثقافة الإسلامية المتنوعة.

وأمر الإسلام الوالدين أن يستتروا عن أطفالهم عند رغبتهم في ممارسة العمل الجنسي لإبعادهم عن كل المثيرات والمهيجات الجنسية التي تفسد طباعهم ، ولعل أجمل ما قالته بنت لأبيها ما روى عن السيدة فاطمة الزهراء حينما سألها أبوها رسول الله ﷺ : " **ما هو أعظم شيء للمرأة** " قالت :" **لا يراها رجل ولا ترى رجلاً** " لتبتعد عن كل ما يثيرها ويهيجها ولذلك أمر بتعليم الأطفال عند بلوغهم سن التمييز أن يستأذنوا على والديهم في الأوقات الأكثر احتمالا لأن يمارس فيها شيء من هذا ، لقول المولى عز وجل : ﴿ **يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ** ﴾ [النور : ٥٨] .

وأمر ﷺ بضرورة الفصل بين الأبناء عند بلوغهم سن العاشرة ليصبح للإناث مكـــان مخصوص للنوم ، لا يسمح للذكور أن يناموا فيه رغم رابطة الأخوة التي تجمع بـــين الطرفين ، لما روى عن النبي ﷺ أنه قال : " **مروا أولادكم و هم أبناء سبع و اضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع** "[1]

وعدم التفريق بين الذكور والإناث في المضاجع قد يؤدي إلى اتصال جنسي بين الأخ وأخته خصوصاً إذا نشأ الأولاد في جو أسري ومجتمعي يشجع على ذلك . كما هو الحال في الغرب الآن .

كمـــا أمـــر الإســـلام الأب أن يعدل بين أبنائه فلا يعطى الذكر دون الأنثى حرصـــــاً على سلامة نفوسهم من الحسد والكراهية ، ولأن هذه الظاهرة تؤدي إلى توارث حب الاعتداء والمشاجرة والعصيان ... وتؤدي إلى المخاوف الليلية ، والإصابات العصـــبية ، ومركبات الشعور بالنقص ، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال : " **ساووا بين أولادكم في العطية** "[1]

ويقول النعمان بن بشير ﷺ كما جاء في الحديث الصحيح : تصدق علي أبي بـــبعض مالـــه ، فقالت أمي ... لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ : فانطلق أبى إلى الـــنبي صلى الله عليه وسلم يشهده على صدقتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " **أفعـــلت هذا لولدك كلهم ؟ " قال : لا ، قال : " فاتقوا الله واعدلوا في أولادكم " فرجع أبى فرد تلك الصدقة** "[2]

---

(١) رواه الحاكم وأبو داود.

(١) رواه الطبراني .

(٢) رواه مسلم .

والإســـلام شدد على الأب أن ينفق على أبنائه ، بمن فيهم البنات ، لأن هذا واجب علية ، وحذره من البخل والتقتير ونهاه عن أن يمنع عنهم ضرورياً من ضروريات الحياة ، أو أن يخص نفسه بشيء دونهم ، أو أن يفضل الذكور على الإناث ، فقد قال النبي ﷺ : " **مــن كانت له أنثى فلم يئدها ولم يُهنها ، ولم يؤثر وله عليها أدخله الله الجنة** " .[1]

وليعلم الآباء أن تسخّط الإناث عاده جاهلية مرذولة ينهى عنها الإسلام . روى الجـــاحظ أن أبا حمزة العيني هجر زوجتة لأنها ولدت بنتاً فمر بخبائها يوماً ، و إذا هي ترقص و تقول :

مـــــا لأبي حمـــــزة لا يأتيـــــنا و هـــو في الـــبيت الـــذي يليـــنا

يغضـــــب إن لم نـــــلد البنيـــــنا و الله مـــــــا ذاك في أيديـــــــنا

و إنمـــــا نـــــأخذ مـــــا أعطيـــنا و نحـــــن كـــــالأرض لزارعيـــــنا

ننـــبت ما قد زرعوا فينا وما سمع هذا القول ، حتى غلب علية حنان الأبوة ، فدخل البيت و قبل رأس أمرأتة و أبنتها.[2]

و الأحاديث التي وردت فى الإحسان إلى البنات وتكريمهن كثيرة. عن عائشة رضـــي الله عـــنها أنها قالت : جاءتنى مسكينة تحمل ابنتين لها فأطعمتها ثلاث مرات فـــأعطت كل واحدة منهما تمرة ، ورفعت إلي فيها تمرة لتأكلها فاستطعمتها أبنتاها ، فشـــقت الـــتمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما ، فأعجبني شأنها ، فذكرت الذى

---

(١) رواه أبو داود فى سننه.

(٢) البنيان والتبين للجاحظ : ٢٠٧/٣.

صـــنعت لرسول الله ﷺ فقال : " **إن الله قد أوجب لها بها الجنة ، أو أعتقها بها من النار** "(1)

وعـــن عائشـــة رضي الله عنها قالت : قال النبي ﷺ " **من أبتُلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار** "(2)

وكـــان رســـول الله ﷺ أبـــاً بنات ، وكانت فاطمة رضي الله عنها أحب الـــناس إليه وكان السلف بعمل بسُنّة النبي ﷺ فى البنات . قال أبن القيم : قال تعالى في حـــق النساء " **فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً** "(3)

وهكـــذا البـــنات أيضـــاً قـــد يكـــون للعـــبد فيهـــن في الدنيا والآخرة ، ويكـــف في قبح كراهتهن أن يكره ما رضيه الله و أعطاه عبده . و قال صالح بن أحمد بن حنبل كان أحمد إذا ولد له أبنه يقول : الأنبياء كانوا آباء بنات . ويقول : قد جاء فى البـــنات ما قد علمت . وقال يعقوب بن بختان : وُلد لي سبع بنات ، فكنت كلما وُلد لي أبنه دخلت على أحمد بن حنبل فيقول : يا أبو يوسف الأنبياء آباء بنات ، فكان يذهب همي "(4)

---

(1) رواه مسلم فى باب فضل الإحسان إلى البنات : ١٨٠/١٦.

(2) المصدر السابق : ١٧٩/١٦.

(3) سورة النساء : آية ١٩.

(4) تحفة المودود لابن القيم : ص ١٨.

المبحث الثالث

البنت في مرحلة المراهقة

آداب البنت في الطريق[1]

إذا مـــا ســـرت في الطـــرقات فأمشـــي   عـــلى ســـنن الكمـــال والاحتشـــام

ولا تتـــــلفتي يُمـــــنى و يُسْـــــرى   و ســـــيري في الطـــــريق إلى الأمـــــام

فإمـــــا تُبصـــــري فيـــــه زحامـــــاً   فـــلا يصـــدفك شـــيء في الـــزحام

و مُـــرّي بـــين إســـراعٍ و مهـــل   و صـــدي الســـمع عـــن لغـــو الكلام

كذلـــك فأســـلكي في كـــل ســـير   ســـبيل الجـــد يـــا بـــنت االكـــرم

المراهقة :

هي اكتمال النضج ، و بمعناها الدقيق هي الاقتراب المتدرج من النضج الجسمي و العقلي و الانفعالي ، و المراهقة بمعناها العام : هي مرحلة التي تبدأ بالبلوغ و تنتهي بالرشـــد (أي إلى ٢١ عامـــاً) ، فهي لهذا عملية بيولوجية حيوية عضوية في بدئها و ظاهـــرها ، اجـــتماعية في نمايـــتها ، و يعرف البلوغ ، بأنه مرحلة من وراحل النمو الفسيولوجي العضوي ، التي تسبق المراهقة ، و تحدد نشأتما وفيها يتحول الفرد من كائن

---

(١) الشاعر الهرواى .

لا جنسـي إلى كـائن جنسي قادر على أن يحافظ على نوعه واستمرار سلالته وتتميز مرحلة المراهقة بأنها المرحلة الثانية في حياة الفرد التي تصل فيها سرعة النمو إلى أقصاها .

البلوغ عند الفتاة :

تبدأ الغدة النخامية قبل البلوغ بخمس سنوات بتنشيط الغدد التناسلية ، و تعمل عـلى نضـجها ، ويبدأ إفراز الهرمونات التناسلية الأنثوية للإناث تبعاً لهذا التأثير ، إذ تعمل هذه الهرمونات التناسلية بدورها على نمو الأعضاء التناسلية حتى تصل إلى نضجها الصـحيح في نهاية مرحلة البلوغ ، وبذلك تعتمد هذه المرحلة على التفاعل القائم بين هرمونات الغدد النخامية والهرمونات التناسلية .

ويتأثر البالغ بنوع كمية الغذاء الذي تتناوله الطفلة ، فكثرة البروتين تؤدي إلى التبكير ، بالبلوغ ، وكثرة المواد الكربوهيدراتية تؤدي إلى تأخير البلوغ ، ونقص الغذاء يؤخر بدء البلوغ .

ويقـاس بـدء البـلوغ عـند الفـتاة بـأول حيض (طمث) يحدث لها ، ، يتراوح مدى هذا البدء فيما بين (٩ —١٨) سنه ، تبعاً لأختلاف العوامل المؤثرة على النضج الجنسي عند الفتاة .

ويحـدث الحيـض عـند الفـتاة عـندما يـبدأ إنـتاج البويضة الناضجة وتنتقل من المبيض عبر قناة فالوب إلى الرحم وعندما يتم تلقيحها بالحيوان المنوي تنفجر وينفصل الغشاء الرحمي المعد لاستقبالها ونموها تبعاً لذلك ، ويترل في صورة دم أحمر قان

ويرتبط سن الحيض لدى الفتاة بالطول والوزن والعمر الهيكلي ، أي أن الفتاة الأطـول والأثقـل والأنضـج في النمو الهيكلي ينضجن مبكراً عن زميلاتهن الأقصر

والأبطأ في النمو الهيكلي . كذلك يرجع إلى اختلاف البيئة الجغرافية والمناخ ونوع التغذية .

وسواء توقعت الفتاة حدوث أول حيض أم لم تتوقعه فإنها عادة تتنبه لحدوثه . ويجب إعدادها لهذا الحدث لأن بعض الفتيات يصبن برعب وخوف من الحيض على أنه نزيف لا يمكن إيقافه . وقد يرتبط الحيض في هذه الصورة بقدم السرور أو بالخبرات المؤلمة فيصبح حدوثه بخبرات غير سارة .

وعادة لا يصحب الحيض آلام شديدة، اللهم إلا في حالات من يعانين ضعفاً جسيماً وهزالاً واضحاً أو عاهة جسمية مثلاً

ويستمر التوتر والضيق المرتبط بالحيض والانطواء ثم الاختفاء والنسيان ... إلخ إلى أن تنتظم الدورة الشهرية وتتعود الفتاة عليها .

وتعتبر أهم الخصائص الجنسية الثانوية التي تظهر للبنات نتيجة إفرازات الهرمونات المنشطة للأنوثة التي تسمى الأستروجين هي نمو الأعضاء التناسلية (قناة فالوب – والرحم – والمهبل) وأتساع الحوض – والردفين – وأستدارة الأفخاذ ، ونمو الصدر والثديين والغدد اللبنية، وظهور شعر العانة ، وتحت الإبط ، وبعض الشعر الخفيف على الذراعين والشفة العليا ، وخفض وعمق الصوت .

وتشعر الفتاة بالحرج عندما تجد ان أجزاء جسمها النامية (خاصة الثديين والردفين) قد أخذت شكلاً جديداً لافتاً للأنظار بطريقة تختلف عن ذي قبل لأنها أجزاء خارجية تظهر من الملابس ويمكن أن تتحرك .

ويعـــتقد أن السمنة هي السبب في أتساع أردافهن فيبدءن في عمل (رجيم) في الطعام بينما السبب الحقيقي هو النمو العظمي .

صحة البنت المراهقة :

عـــلى الوالـــدة أن تشرح لابنتها وظائف وأمور الحيض في وقت مبكر ، وأن الطمـــث (الحيـــض) أمر طبيعي تشترك فيه جميع النساء ، وعليها عدم الاستهزاء بها والاستخفاف بآلامها ثم بمداراتها .

يجـــب أن يقـــال لهـــا بأن الحيض ليس بمرض وظهوره عندها معناه نضجها وازدهارهـــا . قولي لها : لم تعودي يا فتاة طفلة ..، فقد غدوت أنثى كاملة النضوج ، وعـــندما تتزوجين سيكون لك أولاد ، لأن الحيض جاءك ، وهو دليل على تمكنك من ولادة الأولاد في المســـتقبل ، وما الدم إلا عصير مدمي خلق لتغذية طفلك المقبل . ولو كنت مريضة حقاً أو عقيمة لما جاءك الطمث أبداً .

ومـــع ذلك فيجب ألا نترك الفتاة وحدها تجتر آلامها ، بل يجب أن نمد لها يد العون فنخفف من كربها ولا نتركها فريسة الألم تنظر برعب إلى نهاية كل شهر . وأن ننصحها بتجنب كل ما من شأنه إثارتها واستفزازها.

ويعتقد كثير من الناس أن لا علاج لعسر طمث الفتيات وآلامهن إلا بالزواج مع أن الطب الحديث يستطيع أن يمسح بيده عن جبينهن الأسى و الألم ، فلا تستسلمي يا فتاتي لألم الحيض .

و إذا حاضـــت البنت لأول مرة فمن واجب الأم أن تكرس من وقتها ساعات لتشـــرح لابنتها ما هى مقبلة عليه ، و ما يجب عليها عملة ، و تهيئ فوطها و تعلمها

طـــريقة العناية الصحية بفرجها ، و لتفهمها أن شعور المرأة بالصحة و السعادة يتوقف عـــلى نظافة هذا المكان . و أن مستقبلها كخطيبة و زوجة رهين بعدم صدور الروائح منه .

أمـــا خير الوصايا الصحية لتنظيف الفرج ، فهي وجوب غسله بالصابون مرة كل يوم ، و عليها أن تبول أولاً ، ثم تغسل المكان الظاهر ثانياً و بين ثناياه ، بالماء الحار ، مستعملة في ذلك أسفنجة لينة تحفظ خصيصا لهذا الغرض ، و بعدها تستعمل منشفة خاصـــة ليـــنة غير خشنة . و يجب تخير الصابون من النوع الجيد غير المحرش ، و من الضروري عدم إدخال الصابون داخل الفرج لأن الصابون يهيج الغشاء المخاطي . وبعد التنشـــيف ترش طبقة رقيقة من بودرة التلك . و يفضل تعطير التلك بقليل من الخزامي (اللاوند) ، و للخزامي خاصية امتصاص الروائح و مكافحة التشنجات ، و هو موجود عند العطارين ، و تمنع الفتاة من مسح المكان بالعطور ذات الروائح النفاذة . فالأعضاء التناســـلية ليســـت زهـــوراً تعبق بالأريج و تنصح كل فتاة و سيدة باقتنـــاء (أوراق النشـــاف) أو (الكلينكس) توضع في محفظتها لتمسح به فرجها بعد كل تبول ، وتزيل عـــنه آثـــار البول عند عدم وجود الماء ، لتستخدمه كلما اضطرت الحاجة إلى التبول خارج دارها .

ووجـــب عـــلى الأم أيضـــاً أن تصارح أبنتها إذا بلغت سن التاسعة فما فوق وتذكـــرت احتلاما[1] و رأت الماء الرقيق الأصفر على ثوبها بعد الاستيقاظ ، أصبحت بالغـــة و مكلفة شرعاً ، وجب عليها الغسل ، لما روى أحمد و النسائي عن خولة بنت حكـــيم أنهـــا ســـألت الـــنبي ﷺ عن المرأة ترى في منامها ما يرى الرجل ، فقال :
" ليس عليها غسل حتى تُنـــزل ، كما أن الرجل ليس علية غسل حتى ينزل " .

---

(١) الاحتلام : هو ما يراه النائم في نومه والمراد به الجماع .

كذلــك يجب على الأم أن تصارح ابنتها أنها إذا بلغت سن التسعة فما فوق و رأت دم الحيــض أصــبحت بالغة و مكلفة شرعاً، فتمتنع عن الصلاة و الصيام في أيام الحيــض و بشرط أن تقضي ما فاتها من صيام بعدد أيام الحيض التي أفطرتها و لا قضاء عليها في الصلاة . فمن حديث رسول الله ﷺ الذي رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها : " ... **فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة ، و إذا أدبرت فاغتسلي و صلي** " .

و كذلك يجب على الأم أن تعلم ابنتها أحكام الحيض الباقية ، وهي :

١- يحــرم على الحائض الطواف بالبيت فرضه و نفله و لا يصح منها لقول النبي ﷺ لعائشة لما حاضت و هي محرمة :

" **افعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت حتى تطهري** " .[١]

و أمــا بقيــة مناسك الحج و العمرة فتفعلها و هي حائض ، و على هذا فلو طافت و هــي طاهرة ثم خرج الحيض بعد الطواف مباشرة أو أثناء السعي فلا حرج في ذلك . و يسقط عن الحائض طواف الوداع ، و أما طواف الحج و العمرة فلا يسقط بل تطوف إذا طهرت .

٢- دُخول المساجد مطلقاً لحديث النبي ﷺ: " **لا أُحلُّ المسجد لحائض و لا لجُنُب**"[٢]

و ينــبغي أن يقال للحائض أن لا تقرأ القرآن نطقاً باللسان(إلا عند الحاجة) و إنما تكون القراءة نظراً بالعين أو تأملاً بالقلب فلا بأس بذلك ، و هذا يعني عدم مسها للمصحف و هي حائض حتى تطهر .

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود (٥٣/١) وابن ماجة (ص ٢١٢) وهو صحيح الإسناد وبه العمل عند سائر الفقهاء من أهل السُنة .

هذا و اعلمي أيتها الفتاة المؤمنة أنه ينبغي لك إذا كنت في آخر أيام حيضك أن تنظري في نفسك قبل الفجر من الليل . فإن رأيت الطهر اغتسلت . و صليت المغرب و العشاء ، و تنظري كذلك قبل طلوع الشمس فإن رأيت الطهر اغتسلت و صليت الصبح ، و تنظري قبل غروب الشمس بساعة فإن رأيت الطهر اغتسلت و صليت الظهر و العصر . و أيما وقت تطهرين فيه فاغتسلي فوراً . فإن بقي من الوقت قبل خروجه قدر ما تصلين فيه ركعة وجب عليك أداء تلك الصلاة ، و إلا فليس عليك أداؤها و لا قضاؤها .

أبنتك المراهقة تحتاج إلى معاملة خاصة

الكثير من الأمهات و الآباء يخافون على مستقبل بناتهن في مرحلة المراهقة ، و جاءت الشكوى على لسان إحدى الأمهات من معاملة أبنتها المراهقة لها تقول : " التعامل مع أبنتي المراهقة أصبح يشكل مشكلة بالنسبة لي فهي قمة في الرقة و أحياناً في قمة التمرد متعاونة أحياناً و منطوية في أحيان أخرى ، و تصر دائماً على تحدي الجميع " .

و للتغلب على هذه الشكوى يقترح خبراء شئون الأسرة أن يعمل أولياء الأمور على اكتساب صداقة جيل جديد كانوا بالأمس أطفالاً ، و عن طريق هذه الصداقة يستطيع الآباء و الأمهات مساعدة الأبناء على اجتياز مرحلة حرجة في حياة أولادهم ، و هي مرحلة قد يجتازها بعض الصغار بهدوء و سلام بينما يجد آخرون صعوبة في تقبل التغير النفسي و الجسماني الذي طرأ عليهم فينعكس ذلك على تصرفاتهم .

و يؤكد فريق من الباحثين أن فتور العلاقة بين الآباء و الأبناء و افتقار الحوار الصادق بينهم يعتبر إحدى المشكلات الأساسية التي تواجه الأبناء عندما يحاولون اجتياز

سن الطفولة إلى النضج ، و اقترح فريق الباحثين على أولياء الأمور عدة نصائح يساعد أتباعها في معاملة الأبناء على أسس سليمة و التفاهم معهم بسهولة ، و منها :

١- الإصـــغاء باهـــتمام لكـــلام الابنة عندما تلجأ إلى الأم أو الأب في طلب مشـــورة، و إذا كانت الأم مشغولة في الأعباء المترلية و الأب منصرف في مشاهدة التليفزيون فعليهما أن يجعلا أبنتهما تشعر أن كلامها أهم حتى لو تراءى للوالدين أن الموضوع غير ذي أهمية .

٢- معامـــلة الابنة و التحدث إليها بأسلوب يشعرها بألها قد نضجت فذلك سيشجعها على فتح موضوعات جديدة للحوار.

٣- إدراك الحـــوار و إقناع الابنة بلطف بوجهة النظر الأخرى أكثر واقعية من سرد المواعظ و تقديم النصائح الجافة .

٤- عدم السخرية من آراء الابنة حتى و لو كانت سخيفة ومتطرفة ، لأن ذلك قـــد يســـبب حرجاً شديداً يجعلها تحجم عن فتح حوار كما يؤدي النقد المستمر لتصرفات الجيل الجديد لهروبه من المناقشة مع الأبوين .

٥- ضـــرورة الحـــزم في الأمـــور المتعلقة بالمبادئ و الأخلاقيات و مناقشة الموضوعات المتنوعة مع الأبناء و تشجيعهم على الهوايات المختلفة التي قد يشارك فيها أولياء الأمور أيضاً .

٦- امـــتداح الابـــنة على عمل أدته بنجاح بدلاً من التركيز دائماً على إبراز الأخطاء .

٧- السماح للابنة بإبداء الآراء في قرارات هامة تتعلق بالأسرة و حتى لو اختلفت الآراء بين الجيلين فعلى أولياء الأمور إدراك أن المناقشة في المصلحة العامة للأسرة ، و أن اختلاف التفكير و تصور الأمور بين الجيلين أمر طبيعي ، و أن المناقشة البناءة ساعد طفل الأمس أن يصبح أمل الغد و رجل المستقبل ، و أنه في خلال المناقشات يمكن توجيه الجيل الجديد حتى يصبح المستقبل خيراً من الماضي .

معاملة النبي ﷺ لبناته :

رُزِقَ النبي ﷺ من البنات أربعاً و من الذكور ثلاثة ، فمات الذكور صغاراً و بقى الإناث فرضى بما قسم الله له ، و كان أول أب في الجاهلية يستقبل أبنته (زينب) ببشر و ترحاب ، و ينحر الذبائح و يقيم الأفراح على غير عاده العرب ، و أشتد حبه للسيدة خديجة بعد إنجاب البنات ، وقد كان النبي ﷺ مثالاً للأبوة الحانية بعاطفتها الغامرة و صفائها الشامل و مشاعرها النبيلة نحو بناته .

و ما أظلم هؤلاء الذين يعيشون بعقلية الماضي فيحبون إنجاب البنين فقط ويؤثرونهم بحبهم ، أو يحاولون جاهدين إخضاع عاطفتهم لحب البنين و بغض البنات .

أمام أنظار هؤلاء نضع أبوة محمد صلى الله علية و سلم التي ما خص بها مولوداً دون آخر ، أو جنساً دون جنس ، و قد مات ولداه القاسم و عبد الله صغيرين ، ثم لحق بهما غلامه الثالث إبراهيم قبل أن يكمل عامة الثالث ، فحرمة الله من البنين و أبقى الله له البنات ، حظين كلهن بأبوة حانية راضية ، و عاطفة لم تعرف مقتاً و لا كرهاً فأسعدهم و أسعدته .

فلعل هذه الصورة المحمدية تكون قدوة صالحة للمصدقين برسالته التي لا تخص البـــنين بالحظ الأوفر من الحب و المودة ، و تعطي البنات ما تبقى من الحب ، إن كان للحب بقية !!

ســئلت فاطمـــة الأنبارية : أي أولادك أحب إليك؟ فأجابت : هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها .

و قـــد اعـــتنى النبي ﷺ بهن و أحسن تربيتهن و ترك لهن حرية اختيار الزوج وكان رحيماً بهن مجيباً لطلباتهن في حدود إمكانياته تغلب علية مشاعره نحوهن .

و كان النبي ﷺ حياً فورثت عنه بناته الحياء و هو القائل : " **استحوا من الله حـــق الحياء** " قالوا (يا رسول الله إنا نستحي من الله و الحمد لله) قال : " **ليس ذلك الاســـتحياء مـــن الله حق الحياء أن تحفظ ال أس و ما أوعى ، و البطن و ما حوى ، وتذكـــر المـــوت و البلى ، و من أراد الآخرة و ترك زينة الحياة و آثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء** " .

و كان النبي ﷺ مرحاً مع بناته يعاملهن كبشر ، يقول المولى عز و جل : ﴿ **قُل مَن حَـرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيباتِ مِنَ الرِّزقِ قُل هِيَ لِلذِينَ ءَامَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا خَالِصَةً يَومَ القِيَامَة** ﴾ .[الأعراف : ٣٢].

و قد أمتد حب الرسول ﷺ متجاوزاً بناته إلى حفدته ، فقد كان ﷺ يصلي وهو حامل أمامه بنت أبنته زينب ، فإذا سجد وضعها و إذا قام حملها .

و عـــندما سمـــع الحســـن يـــبكي -
- أسرع الرسول إلى شاة كانت تقبع في الدار فحلبها و سقى الحسن من لبنها . و كان يقول لأبنته فاطمة إذا سمع الحسن يبكي ، أن بكاءه يؤذيني.

و قال أسامة بن زيد : طرقت باب النبي ﷺ في بعض الحاجة ، فخرج رسول الله ﷺ و هــو مشتمل على شيء لا أدري ما هو ، فلما فرغت من حاجتي قلت : ما هذا الذي أنت مشتمل علية يا رسول الله ؟ فكشفه فإذا الحسن و الحسين ، و قال :

" **هذان أبناي و أبنا بنتي . اللهم إني أحبهما ، فأحبهما ، و أحب من يحبهما** " .

ووقـــف التاريخ الإنساني يراقب مبهوراً هذا النبي الإنسان ، في أبوته الفياضة بـــأنقى الحب و أصفى الحنان ، و أصغت الإ سانية في فخر و اعتزاز ، إلى ما تواترت بـــــه الأنـــباء مـــن ذلك الحب الكبير ، الذي يكشف عن جانب من عظمة الرجل المصطفى في السماء .

و قـــد كان النبي ﷺ يقول : " **من كان له ولد فليتصاب له** " ، فيكون معه كما يكون الصبي مع الصبي ملاطفة له و إيناسا .

و قـــد قـــال عمر بن الخطاب: " يا رسول الله ما بالنا نرق على أولادنا و لا يـــرقون علينا ". فأوجز له الرسول ﷺ سبب الرقة و الحنان في كلمات عندما أجابه: " **لأننا ولدناهم و لم يلدونا** " .

و كأني بعمر بن الخطاب يتبع هذا المنهج المحمدي حينما قال :

" **أحـــب أن يكـــون الـــرجل في أهلـــه كالصـــبي ، فـــإذا احـــتيج إليـــه كان رجلاً** " .

و قــد نزع عمر الثقة من وال لا يحنو على صغاره ، فقد عهد بالولاية لواحد مــن الناس فأقبل على مجلسه ليشكره ، و بينما هم جلوس قدم صبي صغير فجلس في حجــر عمــر الــذي هشَّ في وجهه و بشّ و أقبل على الصغير يداعبه و يلاعبه . مما أسترعى انتباه ذلك المرشح للولاية فقال لعمر متعجباً : أتقبل هذا يا أمير المؤمنيــن ؟! إن لي عشرة أولاد ما قَّبْلتُ واحداً منهم ، و لا دنا أحد مني !! . فأجابه عمر : " و ما جريرتــنا نحن إن كان الله عز وجل قد نزع الرحمة من قلبك إنما يرحم الله من عبادة الرحماء " . ثم أمر الكاتب أن يمزق كتاب الولاية و هو يقول .

" إنه لم يرحم أولاده فكيف يرحم الرعية ؟ "

نصيحة أم لابنتها قبل الزواج :

أخــتي المســلمة أضع أمامك هذه النصيحة لكي تسعدي في حياتك الزوجية الجديدة . و الله يوفقك .

كــانت أمامــه بــنت الحارث التغلبية من فضليات نساء العرب و لها حكم مشهورة في الأخلاق و المواعظ .

فعــندما تزوج عمرو بن حجر ملك كندة أم أياس ابنه عوف بن محلم الشيباني أبنتها أم إياس بنت عوف و أرادوا أن يحملوها إلى زوجها أوصتها أمها في ليلة الزفاف إلى زوجها بالوصية التالية :

(أي بنية : إنك فارقت بيتك الذي منه خرجت [1] و عشك فيه درجت [2] إلى رجل لم تعرفيه ، و قرين لم تألفيه ، فكوني له أمه يكن لك عبداً [3] و احفظي له خصالاً

---

(١) نشأت ونبت فيه .

عشـــراً ، يكن لك ذخراً ، أما الأولى و الثانية فالخشوع له بالقناعة و حسن السمع له والطاعة ، و أما الثالثة و الرابعة فالتفقد لموضع عينه و أنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ، و لا يشـــم إلا أطيب ريح و أما الخامسة و السادسة فالتفقد لوقت منامه و طعامه ، فـــإن تواتر الجوع ملهبة و تنغص النوم مغضبة و أما السابعة و الثامنة ، فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه و عياله ، و ملاك الأمر في المال حسن التقدير ، و في العيال حسن التدبير و أما التاسعة و العاشرة فلا تعصين له أمراً ، و لا تفشين له سراً فإنك إن عصيت أمره أمره أوغرت صدره ، و إن أفشيت سره لم تأمني غدره ، ثم إياك و الفرح إذا كان مهتماً و الكآبة بين يديه إذا كان فرحاً)

(٢) نموت وترعرت.
(٣) عامليه معاملة فيها تواضع وليه يعاملك مثلها.

المبحث الرابع

البنت زوجة

حـــث الإســـلام عـــلى الـــزواج و رغب فيه على خلاف كثير من الأديان والفلسفات و نهى الرجال عن الرهبنة و الأختصاء ، و التبتل لما في ذلك من ظلم كبير للمرأة ، و اهتضام واضح لحقوقها .

و قد غرس الإسلام في أذهان المسلمين – بعد أن حثهم على الزواج – عقيدة مبدئية ، ترشدهم إلى الكيفية التي تختار على أساسها الزوجة ، و هي عقيدة تقوم على أســـاس الصفات المستمدة من إنسانية المرأة لا من جمالها أو مالها أو حسبها ، الصفات التي تسهم هي – كإنسان مسئول _ في بنائها و تكوينها ، و التي تستحق أو لا تستحق بناء على نجاحها أو فشلها أن تختار زوجة ، و سوف نشرح هذه الصفات بالتفصيل في الأبواب القادمة .

و هي بهذا لا تدخل إلى قناعة الرجل و قلبه من باب الحب و الجمال ، أو من بـــاب الطمـــع و المال ، أو من باب الحلم بالرفعة و الجاه ، و إنما تدخل إليه من باب الاعتراف بسمو إنسانيتها ، و رفعة مكانتها لا غير . فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رســـول الله ﷺ أنـــه قال : **"تنكح المرأة لأربع ، مالها و لحسبها و لجمالها و لدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك "**

و عندما ينجح الرجل في العثور على المرأة التي تناسبه ، فلا يعني هذا أن الأمر قد أنتهي ، و إنما لابد من موافقتها شخصياً على هذا الزواج سواء كانت بكراً أو ثيباً ، و لها الحق الكامل في أن ترفض ، و ليس لوليها أن يكرهها على الزواج هي لا تريده .

و إن فعل و زوجها قبل أن تبلغ سن الرشد ، فإنه يحق لها بعد أن تبلغ أن تختار بين البقاء و بين فسخ العقد و إنهائه . فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : " **لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، و لا تنكح البكر حتى تستأذن**" و الأيم التي سبق لها الزواج ، فإن أكرهت على الزواج كان زواجها باطلاً.

و قد منحها الإسلام كذلك حق الزواج بمن هو كفء لها ، و إن حصل و أن تزوجت بمن هو دونها جاز لها أن تتركه ، و أن تتزوج بمن يساويها ، لما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : " جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت :يا رسول الله إن أبي زوجني أبن أخيه يرفع بي خسيستة – دناءته – فجعل الأمر إليها ، فقالت : إني أخبرت ما صنع أبي و لكن أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شئ "

و بقدر ما تكون المرأة ضعيفة ، بقدر ما يكون الإسلام أصرح في حماية حقوقها ، و على رأس ذلك حقها في بناء حياتها و اختيار شريكها ، فاليتيمة التي لا أب لها و لا أم ، جعل الإسلام الأمر إليها في أن توافق أو لا توافق على المتقدم لها . و لم يجز تدخل ولي الأمر بتزوجها ممن يحب إن هي رفضت ، فعن أبن عمر ﷺ قال : توفي عثمان بن مطعون و ترك له أبنه من خوليه و أوصى بها إلى أخيه قدامه قال عمر : و هما خالاي قال : فخطبت إلى قدامه أبنه عثمان فزوجنيها و دخل المغيرة بن شعبه إلى أمها فأغراها بالمال فحطت إليه و حطت البنت إلى هوى أمها : فأبيا حتى أرتفع أمرهما إلى رسول الله ﷺ فقال له قدامه : يا رسول الله أبنه أخي أوصى بها إلى فزوجتها أبن عمتها عبد الله بن عمر ، فلم أقصر بها في الصلاح و لا في الكفاءة و لكنها امرأة و إنما أحطت إلى هوى أمها ، فقال رسول الله ﷺ : " **هي يتيمة و لا تنكح إلا بأذنها** " قال عمر : فانتزعت مني بعد أن ملكتها فزوجوها المغيرة بن شعبة

و للمرأة الحق في الخطبة و رؤية الزوج قبل أن تقترن به ، فقد قال النبي ﷺ للمغيرة بن شعبة و قد خطب امرأة من الأنصار و لم يراها :" **أنظر أليها فأنه أحرى أن يؤدم بينكما** ". أي يزداد التوافق و المحبة ، حتى المرأة التي مات عنها زوجها من حقها الخطبة : **﴿ ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرون و لكن لا تواعدوهن سراً ﴾** [البقرة : ٢٣٥]

و أمر الإسلام بإشهار الزواج فلا يكون سراً كما هو الحال مع (الزواج العرفي) لأن فيه ضياعاً لحقوق المرأة .

و لها حق المهر بقوله تعالى :**﴿ فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن ﴾** [النساء : ٢٤] و رفع مهرها حسب القدرة دون تحديد و لذلك لما أراد عمر أن يحدد المهور أعترضه امرأة و قالت : (ألم تقرأ القرآن) ثم قالت :**﴿ و إن أردتم استبدال زوج مكان زوج وءاتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا ﴾** [النساء : ٢٠] فأوصل المهر قنطاراً من ذهب و يقول الله : **﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾** [الطلاق : ٧] .

و المهر في الإسلام لا يعتبر ثمناً للمرأة ، و لا تعويضاً عما أنفقوا عليها خلال فترة حياتها عندهم ، و إنما هو تعبير عن المحبة و توثيق لعرى المودة و الرحمة بين الزوجين أعلا و أشرف من الصلة بين الرجل و فرسه أو جاريته لذلك قال سبحانه في المهر : **﴿ وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾** [النساء: ٤] فالذي ينبغي أن يلاحظ أن هذا العطاء آية من آيات المحبة و صلة القربى و توثيق عرى المودة و الرحمة ، و ترى عرف الناس جارياً على عدم الاكتفاء بهذا العطاء بل يشفعة بالهدايا و التحف .

و إضافة إلى القيمة المالية للمهر ، و التي تعتبر حقاً خالصاً للمرأة وحدها ، فأن لهـــا كذلـــك الحـــق في المـــيراث مـــن أبيهـــا و زوجهـــا و أولادهـــا وغيرهم من الأقارب .

كمـــا أن الإســـلام أعطـــى لـــلزوجة حـــق الـــبيع و الشـــراء و الهـــبة و الصـــدقة و غير ذلك . و جعل لها الدفاع عن مالها حقاً شرعياً ،كالدفاع عن نفسها بالتقاضي و غيرة . بيد أن المرأة الفرنسية لا تزال إلى اليوم مقيدة بإرادة زوجها في جميع التصرفات المالية و العقود القضائية .

و حفاظاً على مكانة المرأة و قيمتها في الأسرة و المجتمع ، فإن الإسلام لم يبح من أنواع الزواج التي كانت منتشرة في الجاهلية إلا نوعاً واحداً لا غير . و أعتبر الأنواع الأخـــرى باطلة و لاغية ، لما فيها من هضم لحقوق المرأة و انتقاص لكرامتها ، كنكاح الأستبضـــاع ، و الـــنكاح الجماعي ، و غير ذلك من الأنكحة التي كانت سائدة قبل الإسلام .

قـــالت عائشة ﷺ : " **إن النكاح في الجاهلية كان أربعة أنحاء فنكاح منها نكـــاح الناس اليوم ، يخطب الرجل إلى الرجل و ليته أو أبنته فيصدقها ثم ينكحها ، والنكاح الآخر ، كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها : أرسلي إلى فلان فأستبضعي و يعتزلها و لا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع مـــنه ، فـــإذا تبين حملها ، أصابها زوجها إذا أحب ، و أنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولـــد ، فكان هذا النكاح ، نكاح استبضاع ، و نكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشـــرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت و مر عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها فتقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم و قد ولدت فهو أبنك يا فلان ، تسمي**

مـــن أحـــبت باسمه فيلحق به ولدها و لا يستطيع أن يمتنع ... و نكاح آخر و هن الـــبغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها ، جمعوا لها ، و دعوا لها القافلة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه و دعي أبنه لا يمتنع عن ذلك "

كمـــا ألغـــى الأنكحة الأخرى التي كان مسكوناً عن بعضها في بداية الدعوة كنكاح المتعة الذي يحرم المرأة من الميراث ، و من حقوق أخرى كثيرة إذ لا غاية منه إلا التمتع بالمرأة .

و نكـــاح الشغار الذي يجعل من المرأة وسيلة رخيصة لاستجلاب المتعة للرجل بل أن الإسلام ذهب إلى أعمق من ذلك . فقد نهى عن كل عمل عابث يمارسه الرجل مـــع زوجته ، فنهى عن العزل لأن تمتعاً بالمرأة و هروباً من التبعات ، و نهى عن أتيان الزوجة من دبرها حتى إن البعض أعتبر هذا العمل سبباً كافياً لإيقاع الطلاق ،لأن هذا ضرب من اللهو السافط ، و العبث الماجن و استخفاف واضح بكرامة المرأة .

أمر الإسلام بحسن العشرة :

قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ [النساء: ١٩] .

ما هي حقوق الزوج على زوجته ؟

أولاً : القوامـــة : فمـــن حـــق الزوج على زوجته أن يكون قيماً عليها ، فله الرياسة والســـيطرة يؤديهـــا حـــتى لا تخالفـــه في المعـــروف ، يقـــول المـــولى عز وجل:

﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض و بما أنفقوا من أموالهم** ﴾ [النساء: ٣٤]

و عـــن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " **لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها** "

و يقـــول النبي ﷺ " **إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فلتأته و إن كانت على التنور** " .

ثانيـــاً : طاعته ، ومن حقه عليها أن تطيعه في كل ما يطلب منها فيما لا معصية فيه ، قـــال النبي ﷺ : " **إن من حق الزوج على الزوجة إذا أرادها فراودها عن نفسها و هي على ظهر بعير لا تمنعه** "

و سألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ : " **أى الناس أعظم حقاً على المرأة ؟ قال زوجها ، قالت : أى الناس أعظم حقاً على الرجل ؟ قال أمه** "

و عن أبي هريرة ﷺ قال سأل النبي ﷺ قيل يا رسول الله ، أي النساء خير ؟ قـــال : " **الـــذي تســـره إذا نظـــر إليهـــا ، و تطيعـــه إذا أمـــرها ولا تخالفه في نفسها و لا مالها بما يكره** "

ثالـــثاً : لا تخـــرج من بيتها إلا بأذنه إلا لضرورة ، فإن خرجت من غير ضرورة لعنتها الملائكـــة حـــتى ترجع أو تتوب . قال ﷺ لفاطمة رضي الله عنها : " **أى شئ خير للمرأة ؟ قالت : ألا ترى رجلاً و لا يراها رجل . فضمها ﷺ و قال : ذرية بعضها من بعض** " و استحسن كلامها .

رابعــاً : إدخـــال الســـرور إلى قلـــبه : فمـــن حقـــه عـــليها أن تقابلـــه بالسرور والبشر والابتسامة لقول النبي ﷺ : " **خير النساء من إذا نظرت إليها سرتك ، و إذا أمـــرها طاعـــتك ، و إذا غـــبت عـــنها حفظـــتك فـــي مـــالك وعرضك** " .

خامساً : من حقه أن يغار عليها لقول النبي ﷺ : " **أن الله يغار و المؤمن يغار ، وغيرة الله أن يأتي المرء ما حرم الله** " .

سادساً : لا تسمح بالدخول إلى بيتها إلا بأذنه ، لقول النبي ﷺ : " **لا يحل لامرأة أن تصـــوم وزوجها شاهد إلا بأذنه و لا تأذن بيته إلا بأذنه** " فلا تخلو المرأة برجل إلا أن يكون ذا محرم ، عن علقمة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال : " **إياكم و الدخول على النساء : فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله افرأيت الحمو ، قال :الحمو الموت** "

ســـابعاً : ألا يكون عند الزوجة من هو أحسن منه ، فقد سألت عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ : " **أى الناس أعظم حقاً على المرأة ؛ قال زوجها ، قالت** : أى الناس **أعظم حقاً على الرجل ؟ قال: أمه** "

ثامناً : يفضل الرجل دائماً المرأة الكتومة التي يصعب عليها بل يستحيل أن تفشي سراً أو تنقل كلاماً سمعته من أحد المتحدثين .

و مـــن أخطـــر **الأسرار** التي تنشرها بعض النساء الحمقاوات — أسرار اللقاء الجنسي دون أن تدري إحداهن عاقبة ذلك ، و لو علمت ما فعلت . و قد نهى الرسول ﷺ نهـــياً جازماً على مثل هذا العمل ، فروى أحمد بن حنبل عن أسماء بنت يزيد : أنها كانت عند رسول الله ﷺ و الرجال و النساء قعود ، فقال : " **لعل رجلاً يخبر ما يفعله بأهلـــه ! و لعـــل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها !** " فأرم القوم فقلت : أي و الله يا

رسول الله إنهن ليفعلونه ! فقال : " **فلا تفعلوا ، إنما ذلك شيطان لقي شيطانه في طريق فغشيا و الناس ينظرون** " .

تاسعاً : أن لا تفخر عن الزوج بجمالها أو مالها أو حسبها ، و أن لا تزدري زوجها لقبحه **فقد** روى أن الأصمعي قال : دخلت البادية ، فإذا بامرأة من أحسن الناس وجهاً تحت رجل من أقبح الناس وجهاً ، فقلت لها : يا هذه ، أترضين لنفسك أن تكوني تحت مثله ؟! فقالت : يا هذا اسكت فقد أسأت في قولك لعله أحسن فيما بينه و بين خالقه فجعلني ثوابه ، أو لعلني أسأت فيما بيني و بين خالقي فجعل عقوبتي ، أفلا أرضى الله لي ؟ فأسكتني .

عاشراً : ومن واجبه عليها ألا تفرط في ماله . بل تحفظه عليه ، قال رسول الله ﷺ : " **لا يحل لها أن تطعم من بيته إلا بأذنه إلا رطب من الطعام الذي يخاف فساده ، فإن أطعمت عن رضاه كان لها مثل أجره و إن أطعمت بغير إذنه كان له الأجر و عليها الوزر** "

الحادي عشر: لا تؤذي زوجها بحال ، روى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ : " **لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين : لا تؤذيه قاتلك الله ، فإنما هو عندك يوشك أن يفارقك إلينا** "

و أن تكون منه كسلفتها الصالحة أسماء بنت أبي بكر ﷺ من زوجها الصالح الزبير بن العوام ﷺ ، فتكون له مشاركة حلو الحياة ومرها فقد تزوجته فقيراً و كان فيه غيرة ، و في طبعة قسوة . و هذا لا يتنافى مع كونه صالحاً – فعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : تزوجني الزبير و ماله في الأرض من مال و لا مملوك ، و لا شيء غير ناضح ، و غير فرسه ، فكنت أعلف فرسه

و أستقي الماء ، وأخرز غربة و أعجن و لم أكن أحسن أخبز ، و كان تخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق ، و كنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي ، و هي مني على ثلثي فرسخ ، فجئت يوماً و النوى على رأسي ، فلقيت رسول الله ﷺ ، و معه نفر من الأنصار ، فدعاني ثم قال إخ إخ ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال ، و ذكرت الزبير و غيرته ، و كان أغير الناس . فعرف رســول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى ، فجئت الزبير فقلت : لقيني رسول الله ﷺ وعــلى رأســي الــنوى ، و معــه نفر من أصحابه ، فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك. فقال : و الله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه . قالت : حتى أرسل أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني.

فقــد تزوجت أسماء الزبير رضي الله عنهما ، و هو فقير لا مال له و مع ذلك كانت في عونه في معيشته ، فتسوس فرسه و تعلفها و تسقيها ، و تحمل الماء و النوى في الهجــير مــن مكان بعيد ، و مع هذا فلا تفعل شيئاً يكرهه ، بل ترعى مشاعره في غيرته ، بالرغم من أن هذا العمل الشاق الذي تقوم به — و هي الشريفة القرشية — مما يــراه " أشراف العرب عاراً " ، و كان شاقاً على رجل غيور كريم شريف مثل الزبير ﷺ أن يــرى زوجة تقوم به ، يستبين ذلك من قوله في الحديث : و الله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه. و فيه دليل على غيرته فيما ركبت ، مع أن الذي أشار إليها بالركوب هو رسول الله ﷺ ، و لا ينشأ كبير أمر من الغيرة ، فهو رسول الله ﷺ و زوج أختها عائشة رضي الله عنها و مع هذه الغيرة التي هي طبيعة فيه ، فإن ركوبها فــيما لو ركبت. أخف عليه من أن يراها تقوم بهذه الأعمال التي يراها أشراف العرب عاراً . أما هي فمع كونها تشعر و كأنها في الرق ، فإنها لم تركب ، مع أن الذي أشار إليها بالركوب كان رسول الله ﷺ ، لأنها لم تشأ تثير غيرة زوجها . و لكن حملها أن تصــبر عــلى ما تكرة ، أشغال زوجها بالجهاد فأوجب ذلك تفرغها للأعمال الحياتية

الشاقة ، و كان مثلها كثيرات من أزواج المهجرين ، الذين شغلوا بالجهاد مع رسول الله ﷺ . فأجـــاز لهن التشريع الحكيم أن يعملن خارج بيوتهن ، في مثل هذه الظروف التي فرضت على الرجال الجهاد ، و على النساء القيام بشؤن البيوت.

و كذلـــك عـــندما تقرأ فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، وهي في النساء منزلة سيدة النساء أهل الجنة و كريمة النبي محمد ﷺ ، قد طحنت بالرحى حتى ورمت يدها و حملت الماء في القربة حتى كل كتفها نشعر أن هذه السيدة الفضلى لم تكن أنثى تخدم ذكـــراً ، بـــل كانت أما مؤمنة تقيم دينا يربو فيه اليقين و الحب ، فهي تقدم لرجلها وولدهـــا نفســـها و ما تملك امتثالا لقول الله تعالى " **و المؤمنون بعضهم أولياء بعض يأمـــرون بالمعـــروف و يـــنهون عـــن المـــنكر و يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة ويطيعـــون الله ورسوله** " و هذه رابطة ولاية ووفاق بين الجنسين على مناصرة الحق ومخاصـــمة الـــباطل ، و إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة وطاعة الله و رسوله. رابطة ولاية يتحول بها المجتمع كله إلى خلية نشطة لها منهج وغاية. لم يكن هناك رب أسرة يصدر أوامـــر ذليـــلة تنفذ ! بل كان هناك شريكان يتقاسمان السراء والضراء إنجاحاً لأمرين متساويين : حياة الدين الذي أمنا به ، و حياتهما الخاصة ... و هكذا .... وفي ضوء اليقين و الحب تقام البيوت في الإسلام..

ومن حق الزوج عليها كذلك أن تحسن إليه و لو بعد موته لقولة تعالى :
﴿ **والذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا** ﴾ أي عليهن أي عليهن أن ينتظرن معتدات عدة الوفاة أربعة أشهر و عشراً ،إذا لم تكن من أولات الأحمال ، فإن كن ذوات حمل تربصن إلى حين وضع أحمالهن. يحتسبن بأنفسهن معتدات عن الأزواج و الطيب و الزينة و النقاة عن المسكن الذي كن يسكن فيه حياة أزواجهن و فيه يكون الاحتساب لله أيضاً ، لأنه يكون عن طاعة الله

سبحانه ، و طاعة تشريعه في حق الزوج ، فلا تطيب ، و لا تلبس ثوبا مصبوغاً . و لا تكتحل و لا تتزين . و كانت أمهات المؤمنين ، و نساء الصحابة يعملن ذلك و يفعلنه . عن الزهري ، عن عروة عن عائشة رضي الله عنها : أنها كانت تفتي المتوفى عنها زوجها أن تحد على زوجها حتى تنقضي عدتها ، و لا تلبس ثوباً مصبوغاً و لا معصفراً ، و لا تكتحل بالإثمد ،ولا بكحل سوى الإثمد مما ليس فيه طيب ، و لا تلبس حلياً وتلبس البياض ، و لا تلبس السواد.

و هذه الحقوق المتبادلة بين الزوجين ، هي داعية المودة و الرحمة . و لقد أهتم القرآن الكريم ، و السنة الشريفة بدوامها ليدوم استقرار الأسرة.

حقوق الزوجة على زوجها

أولاً : من حقها عليه حسن الخلق معها ، و احتمال الأذى منها، و ذلك ترحماً عليها لقصور عقول النساء عموماً . قال تعالى : ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ [النساء : ١٩]

و قال النبي ﷺ : " **من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل مـــا أعطـــى أيوب على بلائه ، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون** "

و أعـــلم أن حسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها؛ و الحلم عند طيشها و غضبها اقتداء برسول الله ﷺ فقد كانت أزواجه تراجعنه في كلامه تهجره الواحده منهن يوماً إلى الليل

و جرى بين النبيﷺ و بين عائشة رضي اله عنها حديث حتى أدخلا بينهما أبا بكـــر ﷺ حكمــاً و استشـــهدوه فقـــال لهـــا رســـول الله ﷺ : **" تكلمين أو أتكلم؟ "**

فقـــالت: بل تكلم أنت و لا تقل إلا حقاً، فلطمها أبو بكر حتى دمي فوها، و قـــال : يـــا عدية نفسها ، أو يقول غير الحق ؟! فاستجارت برسول الله ﷺ و قعدت خـــلف ظهـــره ، فقـــال الـــنبي ﷺ " **لم ندعـــك لهـــذا ولا أردنا منك هذا** "

و مـــن ثم يجب على الزوج أن يعامل زوجته بالمعروف و يحسن عشرتها، قال تعـــالى " **وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهم و عسى أن تكرهوا شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً** "

ثانياً : الإنفاق عليها من غير إسراف ، قال تعالى **﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف : ٣١]**

و قال تعالى : **﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ [الإسراء : ٢٩]**

قـــال الـــنبي ﷺ : " **دينـــار أنفقـــته في ســـبيل الله ، و دينـــار أنفقـــته في رقبة ، و ديـــنار تصدقت به على مسكين ، ، دينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك** "

و أهم ما يجب عليه مراعاته في الإنفاق أن يطعمها من الحلال ، لا يدخل مداخل السوء لأجلها ، فإن ذلك جناية عليها لا مراعاة لها ، لقول النبي ﷺ " **لا يلقى الله أحد بذنب أعظم من جهالة أهله** "

و قال بعض السلف : إذا أراد الله بعبد شراً سلط عليه في الدنيا أنياباً تنهشه . (يعني العيال)

ثالثاً : أن يتعلم الزوج من علم الحيض و أحكامه ما يحترز به الاحتراز الواجب ، و يعلم زوجته أحكام الصلاة ، و ما يقضي منها في الحيض ، و ما لا يقضي ، فإنه أمر أن يقيها من النار ، لقول الله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم من النار** ﴾ [التحريم: ٦]

وعليه أن يلقنها اعتقاد أهل السنة ، و يزيل عن قلبها كل بدعة إن استمعت إليها ، و يخوفها من الله إن تساهلت في أمر الدين ، و يعلمها من أحكام الحيض و الأستحاضة ما تحتاج إليه.

رابعاً : العدل إن كان عنده غيرها من الزوجات على المستطاع و القدرة ، فإذا خرج إلى سفر ، و أراد استصحاب واحدة – قرع بينهن ، كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ .فإن ظلم المرأة بليلتها قضى لها ، فإن القضاء واجب عليه.

و قد قال رسول الله ﷺ : " **من كان له امرأتان ، فمال إلى إحديهما دون الأخرى (وفي لفظ : و لم يعدل بينهما) جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل** "

و إنما عليه العدل في العطاء و المبيت ، و أما في الحب و الواقع فذلك لا يدخل تحت الاختيار ، قال تعالى : **﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء و لو حرصتم﴾ [النساء: ١٢٩]**، و كان رسول الله ﷺ يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ، و يقول : " **اللهم هذا جهدي فيما أملك ، و لا طاقة لي فيما تملك و لا أملك** " يعني الحب.

و قـــد كـــانت عائشة رضي الله عنها أحب نسائه إليه ، و سائر نسائه يعرفن ذلك. و لكنه ﷺ لحسن عدله و قوته ، كان إذا تاقت نفسه إلى واحدة من النساء في غـــير نوبتها فجامعها. طاف في يومه أو ليلته على سائر نسائه. فمن ذلك ا روي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ طاف على نسائه في ليلة واحدة.

سادسا: و لها الحق أيضاً في أن تغار عليه ، فقد كانت عائشة رضي الله عنها تغار على رسول الله ﷺ ، و قال رسول الله ﷺ : " **إن الله تعالى يغار ، و المؤمن يغار ، و غيرة الله تعالى أن يأتي الرجل المؤمن ما حرم عليه** "

و الغيرة المعتدلة لابد منها ، و هي محمودة و لكن يجب عدم المبالغة فيها، فإن الـــنبي ﷺ لما قدم قبل دخول المدينة " **لا تطرقوا النساء ليلاً** " فخالفه رجلان فسبقا فرأى كل واحد في منزلة ما يكرة.

و قـــال النبي ﷺ : " **إن من الغيرة ما يحبه الله ، و منها ما يبغضه الله. و من الخيلاء ما يحبه الله ، و منها ما يبغضه الله ، فأما الغيرة التي يحبها الله : فالغير في الريبة . و الغـــيرة الـــتي يبغضها الله : فالغيرة في غير الريبة . و الاختيال الذي يحبه الله : اخـــتيال الرجل بنفسه عند القتال ، و عند الصدقة . و الاختيال الذي يبغضه الله : الاختيال في الباطن** "

سابعاً : يجب أن لا يبلغ الزوج في الدعابة و حسن الخلق ، و الموافقة بأتباع هواها إلى حـــد يفسد خلقها و يسقط هيبته عندها ، بل يراعى الاعتدال فيه . فلا يدع الهيبة و الانقـــباض مهما رأى منكراً ، و لا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة ، بل مهما رأى يخالف الشرع و المروءة تنمر و امتعص.

قـــال الحســـن : و الله ، ما أصبح رحل يطيع امرأته فيما تهوى إلا كبه الله في النار.

و قال عمر ﷺ : خالفوا النساء ، فإن في خلافهن البركة.

و مثل المرأة على مثال نفسك ، إن أرسلت عنالها قليلاً جمحت بك طويلاً. و إن أرخيـــــت عذراهـــــا فـــــترا حذبـــــتك ذراعـــــاً . و إن كبحـــــتها وشددت عليها في محل الشدة ملكتها.

قـــال الشـــافعي ﷺ : ثلاثـــة إن أكرمـــتهم أهـــانوك و إن أهنـــتهم أكرموك : المرأة و الخادم و النبطي أراد به محضت الإكرام ، و لم تمدح غلظك بلينك و فظاظتك برفقك.

و كانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختيار الأزواج و كانت المرأة تقول لابنتها: اختبري زوجك قبل الإقدام و الجراءة عليه، انزعي رح رمحه فإن سكت فقطعي اللحم عـــلى ترسه ، فإن سكت فكسري العظام بسيفه ، فإن سكت فاجعلي الإكفاف على ظهره و امتطيه فهو حمارك.

و عـــلى الجملة ، فبالعدل قامت السماوات و الأرض ، فكل ما جاوز حده أنعكس على ضده.

و في وصية لقمان لأبنه : " يا بني أتق المرأة السوء ، فإنها تشيبك قبل الشيب و أتق شرار النساء ، فإنهن لا يدعن إلى الخير . و كن من خيارهن على حذر" .

ثامناً : و من حقها عليه الكسوة ، لقوله تعالى : **﴿ و على المولود له رزقهن وكسوتهن ﴾ [البقرة: ٢٣٣]** و عن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه أنه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه؟ قال : " **أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، و لا تضرب الوجه و لا تقبح و لا تهجر إلا في البيت** "

تاسعاً : و من حقها عليه السكن الشرعي من غير ضرر ولا ضرار لقول الله ﷻ :
﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ﴾
[الطلاق: ٦]

عاشراً : أن لا يمنعها من زيارة أبويها في الأوقات المناسبة.

الحادي عشر: توفر أسباب الراحة و المزاح معها ، فإن هذا يجلب السرور معها ، **فهذا** الرسول ﷺ يتسابق مع عائشة فسبقته يوماً وسبقها يوماً وقال : **هذه بتلك**

و يقول ﷺ : " **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم** "

المبحث الخامس

البنت أمـــا

الأم و مكانتها في الإسلام:

مـــن الثابت لدى المؤرخين أن شرائع الهند والصين واليونان والرومان واليهود والعرب ، أجمعت كلها على تقديم الأب على الأم في توصية الأبناء.

فشريعة البراهمة ، وإن قالت : أحترم أباك وأمك ، غير أنها تضيف إلى ذلك أن احـــترام الوالد هو وحده الذي يفتح لك أبواب السماء ، ومثلها شريعة بوذا ،وكذلك الفرس ، وعرب الجاهلية فضلاً عن اليهود .

وبقيت الأم الأوروبية تكابد وتعاني أشد مما تعانيه الأمهات الأخريات في تلك الشـــرائع ، ولم تتذوق طعم الحرية ، إلا بعد قيام الثورة اللوثرية (١٤٨٣ - ١٥٤٦ م) كما أكد بعض الباحثين

وما زال يعتبر – في نظر الكثيرين – ما جاء به لوثر من إصلاحات في هذا المجال رغم قلة ذلك وبساطته حجر الأساس الذي شيدت عليه حقوق المرأة الغربية فيما بعد.

ومـــا هـــو جديـــر بالذكـــر ، فإن هناك قسماً من الباحثين يرجعون مصدر الإصلاحات اللوثرية في هذا الحقل – والحقول الأخرى – إلى الأفكار والتعاليم الإسلامية التي انتشرت آنذاك في تلك البلاد ، عن طريق أسبانيا وشمال أفريقيا ، فجوستاف لوبون يؤكـــد على أنه : " من العرب أستعاد سكان أوروبا مع شرائع الفروسية احترام المرأة اللطيف الـــذي تعلمه تلك الشرائع. وعلى ذلك ليست المسيحية – بما فيها اللوثرية

حسـبما هو معروف على وجه عام - هي التي رفعت المرأة من مقامها الوضيع الذي استبقوها فيه حتى ذلك الحين ، إنما هو الإسلام الذي رفعها ، فإن أشراف الشطر الأول من القرون الوسطى ، على تعصبهم للمسيحية ، ما كانوا يحفظون أقل احتراما للجنس الـلطيف يدلـنا على ذلك إلقاء نظرة إلى تواريخنا القديمة ، أجل فقبل أن يعلم الرعب المسـيحيين معاشرة المرأة باحترام ، فإن رجالنا الحربيين القساة كانوا يعاملوها معاملة صارمة.

وقـد عمل الإسلام منذ البداية على استحداث الحقوق التي لا يمكن للأم أن تسـتكمل مكانتها إلا بها ، كما عمل كذلك على إصباغ الشرعية على تلك الحقوق والامتيازات التي كانت قد حظيت بها قبل مجيء الإسلام.

فهو قد ثبت لها بعد الزواج حق الاحتفاظ باسمها واسم عائلتها و لم يسمح لأي طرف ، سواء كان الزوج أو الدولة ، أن يعتدي على هذا الحق دون رضاها.

بمعنى أن الإسلام لم يعتبر المرأة شيئاً من أشياء الرجل ولا متاعاً مملوكاً للزوج ، و إنمـا اعـترف لها باستقلالية معتبرة ضمن إطار الحياة الزوجية ، استقلالية في الاسم والشخصية ، واستقلالية في تحمل المؤولية.

وقـد أحـاط الإسلام كذلك مكانة الأم بسوار من الأحكام والتعاليم حفاظاً عـليها في فترات الضعف ، من عبث الزوج في لحظات الغضب وساعات القوة. ولعل الطلاق من الأمثلة البارزة على هذا.

فـرغم أن الإسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل ، إلا أنه حمى المرأة من تعسف الزوج في استعمال هذا الحق ، وبين ابتداء أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق.

وقد ذهب الإسلام في احترامه لمشاعر المرأة ، أنه منع الرجل من أن يجمع تحته بين المرأة وأختها ، والمرأة وخالتها ، والمرأة وعمتها ، رغم أنه يبيح من حيث المبدأ تعدد الزوجات.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ " **نهى عن أربع نسوة أن يجمع بينهن : المرأة وعمتها ، والمرأة وخالتها** " رواة مسلم

ويـــروي أن رسول الله ﷺ قال أيضاً : " **لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالـــتها ولا عـــلى أبـــنه أخيها ولا على أبنه أختها ، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم** ".

وقد أستثنى الإسلام هذه الفئة من النسوة ، رفعاً للحرج عن الزوجة ، وحماية لمشـــاعرها من أن تتبدل أو تتحول تجاه أقرب الناس إليها ، كما أن الإسلام حماها من الأفعال الضارة بمشاعرها ، وجعل عقاب من يمس عرضها بشيء من ذلك ، أن يجلد أو يضـــرب. وأن لا تقـــبل شهادته. وهو عند الله من الفاسقين. قال الله تعالى : **﴿ إن الذيـــن يـــرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾** [النور :٢٣] .

ولم يسمح للابن بأن يؤذي مشاعر والديه ، أو يمس كرامتها بالشتم أو غيره ، وبين الرسول ﷺ أن من أكبر الكبائر عند الله أن يتسبب المسلم في سب والدية ، حتى لو جـــرى ذلك على لسان الآخرين. قال : " **من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيـــل : يـــا رســـول الله وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال : يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه** "

ويتدرج الإسلام في احترامه لمشاعر الأم ، ويذهب في ذلك إلى أرقى الرتب فلا يتجاهلها ولا يقسو عليها ، حتى أثناء تأدية العبادات لله تعالى.

فالرسول ﷺ كان عندما يسمع بكاء الصبي وهو في إمامته الناس يتجوز في صلاته مراعاة لمشاعر أمه ، وشفقة عليها من وجدها عليه

بعد أن قام الإسلام هذا المقام الرفيع حول مشاعر الأم. قدم لها تشجيعاً على ممارسة هذا الدور المهم والخطير – دور الأمومة – ما تقر به عينها ويهنأ به فؤادها.

فكافأها وهي على عتبة هذه المرحلة وقبل أن تصبح أماً بالمعنى الكامل للأمومة ، بأن جعل لها أثناء حملها أجراً يعادل أجر المرابط في سبيل الله ، وإن ماتت فيما بين الحمل والولادة والفصال فلها أجر شهيد ، وإذا أصابها الطلق لم يعلم أحل السماء والأرض ما أخفي لها من قرة أعين.

لهذا فإن الإسلام عندما يأمر ببر الوالدين ثم يخص الأم لم يخص الأب إنما يكون بذلك منطلقاً من التقييم العادل لتضحيات كل منهما ، لا من محاباته لطرف على حساب الآخر.

ولذلك أوصى الإسلام بالأم ورفع منزلتها العالية ، فيقول جل وعلا: ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً** ﴾ [الإسراء :٢٣].

وبر الوالدين :الإحسان إليهما ، والقيام بحقوقهما ، والتزام طاعتهما ، واجتناب إساءتهما ، وفعل ما يرضيهما ، والبر حق لازم إلا ما حرم حلالاً ، أو أحل حراماً ، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

كما أن الإسلام لم يخير الأبناء في بر الوالدين وإنما جعل ذلك واجباً عليهم لا مـــناص لهـــم من تأديته والقيام به ، قال رسول الله ﷺ : " **بر أمك و أباك وأختك ، وأخاك ، ثم أدانك فأدانك** ".

وقد سئل النبي ﷺ : أي العمل إلى الله عز وجل؟ فقال : " **الصلاة في وقتها** " قال : ثم أي ؟ قال : "**بر الوالدين** " . قال : ثم أي؟ قال : " **الجهاد في سبيل الله** " .

فـــبر الوالديـــن جاء بين فريضتين هامتين ، الصلاة والجهاد ، وموقع البر بين عـــبادتين متماثلـــتين ، إشارة واضحة إلى مساواته معهما في المرتبة ، ومكافأته لهما في الجزاء.

وفي حالات كثيرة ، قدم الإسلام بر الأم على أخص العبادات ، فجعل طاعتها عـــلى الابن واجبة حتى وهو واقف في الصلاة ، وخاشع بين يدي الله . و لم يجز ذلك للأب بل إنه جعل ذلك أوجب عليه في العبادة بمفهومها الشامل لا من الصلاة وحدها.

كمـــا أن الإســـلام أوجب على الأبناء أن يصلوا الأمهات وإن قطعنهم وأن يكرموهن حتى وإن ظلمنم. و لم يجعل لها فيما عدا هذا المسلك أي مبرر.

واهتمام الإسلام بالأمهات لم يقف عند حد حضورهن ، وإنما تعداه إلى غياهن وما بعد مماتهن.

فطالب بالترحم عليهن ، والاستغفار لهن ، وإنفاذ عهدهن ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهن ، والتصدق عليهن.

المبحث السادس

ما هي صفات الزوجة الصالحة في الإسلام

أم الصـــفات الطيبة للعيش ، التي لابد من مراعاتها في المرأة ليدوم العقد وتتوفر مقاصده ، والتي إذا ساروا كان الزواج في غاية التفاهم والمحبة والوفاق ، وهذه الصفات هي:

١ – أن تكون صالحة ذات دين:

فهذا هو الأصل ، وبه ينبغي أن يقع الاختيار ، فإنها إن كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها – أزرت زوجها ، وسودت بين الناس وجهه ، وشوشت الغيرة قلبه ، وتنغص بذلك عيشة ، فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة ، وإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاء ومحنة ، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاوناً بدينه وعرضه ، ومنسوباً إلى قلة الحمية.

لذلك كان أول أساس وضعه الإسلام لاختيار شريكة العمر ، أن تكون صاحبة دين ، ذلك الدين يعصم المرأة من الوقوع في المخالفات ، ويبعدها عن المحرمات ، فالمرأة المتدنية بعيدة عن كل ما يغضب الرب ، ويدنس ساحة الزوج.

فها هو ذا رسول الإسلام ﷺ ،يبين لك أصناف الناس في اختيار المرأة ثم يدلـــك على الصواب فيقول : " **تنكح المرأة لأربع: لمالها ، ولجمالها ، ولحسبها ، ولدينها فأظفر بذات الدين تربي يداك** "

فـــإذا صـــرفت نظـــرك عن الدين ، ورحت تنشد الجمال وحده أو الحسب والنســـب ، والجـــاه والمال ، فاعلم أن مغبون ، قاصرة همتك ، يقول النبي ﷺ : " من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا زلاً ، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ، ومن تـــزوجها إلا لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ، ويحصن فرجة ، أو يصل رحمة بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه "

وينصح النبي ﷺ المسلم في اختيار شريكة حيته فيقول ﷺ : " لا تزوجوا النساء لحســـنهن فعســـى حسنهن أن يرديهن ، ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن ، ولكن تزوجوهن على الدين ولأمة سوداء خرماء ذات دين أفضل "

أمـــا إذا كـــان مـــع الدين جمال ، ومال وحسب فبالأولى ، ولكن مع دلك يستهدف الذين أولاً.

وقـــد كـــان أسلافنا الصالحون حريصين على ابتغاء ذات الدين ، مهما تكن عاطلاً من حيلة الحسب والنسب ، والمال والجمال.

وآيـــه ذلك ، صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ في إيثاره بائعة لبن زوجة لابـــنة عاصم ، وقد كان ﷺ يتمنى أن تكون زوجة له لو كانت به حاجة إلى زواج ، عـــلى مـــا روى الثقات من المؤرخين وفي طليعتهم الإمام ابن الجوزي في تاريخه لأمير المؤمنين عمر ين الخطاب وهو يعس بالمدينة إذا هو قد أعيا فاتكا على جانب جدار في جـــوف الليل فإذا امرأة تقول لأبنتها : يا ابنتاه قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء. فقالت لها ابنـــتها: يا أمتاه أما علمت ما كان من غزمة أمير المؤمنين اليوم ، ألا يشاب اللبن بالماء فإنك في موضع لا يراك فيه عمر ولا منادي عمر. فقالت البنت لأمها : والله ما كنت لأطيعـــه علانية وأعصية سراً. وكان أمير المؤمنين — في اسناده إلى الجدار — يسمع هذا

الحوار فالتف إلى يقول : يا أسلم ، ضع على هذا الباب علامة ، ثم مضى أمير المؤمنين في عســة. فلما أصبح ، ناداني : يا أسلم ، أمض إلى البيت الذي وضعت عليه العلامة فانظــر مــن القائلة ومن المقول لها؟ أنظر هل لهما من رجل؟ يقول أسلم: فمضيت ، فأتيت الموضع ، فإذا الابنه لا زوج لها وهي تقيم مع أمها وليس معهما رجل فرجعت إلى أمــير المؤمنين عمر فأخبرته الخبر فدعا إليه أولاده فجمعهم حوله ثم قال لهم : هل مــنكم مــن يحتاج إلى امرأة التي أعرف نبأها والتي أحب لأحدكم أن يتزوجها. فقال عاصم: يا أبتاه تعلم أن ليس لي زوجة فأنا أحق بزواجها ، فبعث أمير المؤمنين ، فزوجه نلها فولدت له بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له خامس الخلفاء الراشدين الزاهد عمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم أجمعين.

فهــذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي لم يكن فوق سلطانه إلا الله رب العالمين ، كان يتمنى أن لو تزوج ابنه بائعة اللبن ، لأنها كانت ذات دين يكفها عن غش اللبن غير أنــه لم يجــد كفئاً للزواج آثر بهذه البنت ذات الدين أبنه ، تأدباً بأدب رسول الله في حديثه الشريف " **فأظفر بذات الدين تربت يداك** ".

٢- أن تكون ذات خلق:

الحقيقــة أن هــذه الصفة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالصفة الأولى التي هي الدين ، ذلــك أن المتدينة لابد وأن تكون صاحبة خلق ، فإن دينها سيمنعها من فحش القول ، وبذاءة اللسان وسوء المنطق وثرثرة الكلام ، وعلى كل فحسن الخلق أساس قويم ومنهج قويم في البحث عن المرأة ، وصدق لقمان قال لولده: يا بني أتق المرأة السوء فإنها تسيبك قبل المشيب. يا بني ، استعذ بالله من شرار النساء ، وأسأله خيارهن.

وحكي أن السائح الأزدي لقى ألياس عليه السلام في سياحته . فأمره بالتزوج ، ونهاه عن التبتل. ثم قال: لا تنكح أربعاً: المختلعة ، والمبارية ، والعاهرة ، والناشز.

فأما المختلعة: فهي التي تطلب الخلع كل ساعة من غير سبب.

والمبارية: المباهية بغيرها ، المفاخرة بأسباب الدنيا.

والعاهـــرة: الفاسقة التي تعرف بخليل وخدن ، وهي التي قال الله تعالى : ﴿ **ولا متخذات أخدان** ﴾ [النساء: ٢٥]

والناشز: التي تعلو على زوجها بالفعال والمقال ، والنشز: العالي من الأرض.

وكان علي ﷺ يقول: شر خصال الرجال خير خصال النساء: البخل ، والزهو والجـــبن. فـــإن المــــرأة كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها ، وإذا كانت مزهوة استنكفت أن تكلم كل أحد بكلام لين مريب ، وإذا كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها ، واتقت مواضع التهمة خيفة من زوجها.

٣- أن تكون بكراً:

من توجيهات الإسلام الرشيدة في اختيار الزوجة، تفضيل المرأة البكر على المرأة الثيب لحكم بالغة، وفوائد عظيمة.

فمن هذه الفوائد حماية الأسرة مما ينغص عيشه، ويوقعها في حبائل الخصومات، وينشـــر في أجوائها ضباب مسها رجل قبلة، ولهذا المشكلات والعدوات، ولأن طبع الرجل دائماً يألف الجديد، وينفر من امرأة مسها رجل قبله، ولهذا قال النبي ﷺ لصاحبه الجـــليل جابر بن عبد الله عندما علم أنه تزوج ثيباً : " **هلا بكراً تلاعبك وتلاعبها** "

فلعل الصاحب الجليل زواجه بالثيب بأن أباه قد مات وترك له أخوات صغيرات يحتجن إلى الـــرعاية والعناية، وأن الثيب في هذه الحالة أقدر على رعاية البنت، ولولا هذا الذي قدره الله وقضاه لكانت بكراً، ومن فوائد الزواج بالبكر، أنها تجعل كل حبها لهذا الذي اختارها من بين آلاف النساء، وما حب إلا للحبيب الأول، ثم إنها لم تجرب الرجال قبل فلا شك أنها ستمنح من يتزوج بها كل ما تملك من مودة وحنان.

وقد ألمح النبي ﷺ عن بعض الحكم بالزواج بالبكر، فقال ﷺ فيما رواه ابن ماجة والبيهقي : " **عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها، ولأنتق أرحاماً، وأقل خباً وأرضى باليسير** "

فـــلا غرابة أن ترى عائشة رضي الله عنها قد وضحت لرسول الله ﷺ كل هذه المعـــاني، لما قالت للرسول ﷺ - فيما رواه البخاري -: **يا رسول الله أرأيت لو نزلت واديـــاً فيه شجرة قد أكل منها، وشجرة لم يؤكل منها، في أي منها كنت ترتع بعيرك؟ قال ﷺ : في التي لم يرتع منها، قالت: فأنا هي.**

٤- أن تكون ولوداً:

من الصفات التي وضعها الإسلام في الزوجة الصالحة أن تكون ولوداً، وتعرف بشيئين:

١- ســـلامة جسدها من الأمراض التي تمنع الحمل، ويرجع في هذا إلى الأطباء المتخصصين، الذين هم أهل الذكر في هذا الشأن.

٢- أن تنظر إلى حال أمها، وعائلتها. وأخوتها المتزوجات، فإن كن من الصنف الولود، فهي ولود في الغالب - إذا أراد الله - ذلك أن للورثة من الأدوار ما لا يخفى، ومن أجل ذلك أمر المصطفى ﷺ عن المرأة الولود.

فعـــن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهياً شديداً ويقول: **" تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة "**

وعـــن معقل بن يسار قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: **" إني أصبت امرأة ذات حســـن وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال لا، ثم أتاه ثانية فنهاه، فأتاه الثالثة فقال: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم "**

٥- أن تكون نسبية:

أي تكون من أهل الدين الصلاح، لأنها ستربي بنتها وبنيها، فإذا لم تكن مؤدبة لم تحســـن الـــتأديب والـــتربية، ولذلك قال ﷺ : **" إياكم وخضراء الدمن، فقيل: ما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء "**

وقال ﷺ : **" تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس "**

وتحقيقاً لهذا الاختيار أجاب عمر بن الخطاب ﷺ ، عن سؤال لأحد الأبناء لما ســـأله مـــا حـــق الولـــد على أبيه ، بقوله: **" أن ينقى أمه ، ويحسن اسمه ، ويعلمه القرآن "**...

وهـــذا الأنتقاء الذي وجه إليه رسول الله ﷺ ، يعد من أعظم الحقائق العلمية ، والـــنظريات التربوية في العصر الحديث. فعلم الوراثة أثبت أن الطفل يكتسب صفات أبوية الخلقية والجسمية والعقلية ، منذ الولادة ، فعندما يكون أنتقاء الزوج ، أو أختيار

الزوجة على أساس الأصل والشرف والصلاح ، فلا شك أن الأولاد ينشئون على خير من العفة والطهر والاستقامة ، وعندما يجتمع في الولد عامل الوراثة الصالحة ، وعامل التربية الفاضلة ، يصل الولد إلى القمة في الدين والأخلاق، ويكون مضرب المثل في التقوى والفضيلة.

٦- أن لا تكون من أقارب الزوج

لأن ذلك يقلل الشهوة ، قال رسول الله ﷺ : " **لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً** " أي نحيفاً وذلك لتأثيره في إضعاف الشهوة إنما تنبعث بقوة الإحساس بالنظر واللمس. وإنما يقوي الإحساس بالأمر الغريب الجديد ، فأما المعهود الذي دام النظر إليه مدة ، فإنه يضعف الحس عن تمام إدراكه والتأثير به ، ولا تنبعث به الشهوة.

تلكم هي أهم مبادئ الزواج وأهم ارتباطاته بقضايا التربية ، فالإسلام يعالج تربية الأفراد من تكوين الخلية الأولى للأسرة ، يعالجها بالزواج لكونه يلبي حاجة الفطرة ويساير أشواق الحياة ، ولكونه يلحق نسب الأبناء بآبائهم ، ويحرر المجتمع من الأمراض الفتاكة والانحلال الخلقي.

ولكونه يقوم على أسس متينة وقواعد عملية صحيحة في اختيار شريك الحياة والتي من أهمها الاختيار على أسس الدين ، والخلق ، وأن تكون نسبية ، وان لا تكون من أقارب الزوج.

المبحث السابع

تعدد الزوجات في الإسلام

تقـــدم لـــنا التلميح إلى ما حثنا به الأوربيون كتبهم من الطعن في الإسلام ، متمســـكين بمـــا أباحته الشرعية من إباحة تزوج أكثر من واحدة ، ولو كانوا يعرفون العـــربية ، ويفقهون العربية ، ويفقهون كتاب الله وقواعده ، ما استطاعوا أن يلصقوا بالإسلام ما ليس من شيمة.

أنـــت الـــنقائض التي مثلت بالإسلام في أعين غير أهله ، إنما نشأت من اعتبار أعمال الخلف الصالح ، ميزانا لتقدر بها قوانين الشرع ونواميسه ، فمن قائل بسد باب الاجـــتهاد ، ومن أمام أو خليفة قضت عليه أغراضه البهيمية أن ينتهك حرمات الله ثم يحارب الله فينسب إليه ما ليس من دينه في شئ ، ومن عالم اشترى الحياة الدنيا بالآخرة ، فـــأفتى بما يطابق أهواء ملك أو أمير تذرعاً إلى الزلفي منه ، ومن أحمق أرعن لم يرض مـــن اليســـر ما رضى الله لعباده فشط بالناس واعتسف بهم ، حتى ضاقت نفوسهم ، وأيقنوا بالعجز عن احتمال تكاليف الدين فانقطعوا عنه ظانين بالدين الظنون.

جـــاء القرآن فأباح أن يتزوج الإنسان مثنى وثلاث ورباع ، ولكن الله تعالى يقـــول " (**فـــإن خفـــتم ألا تعدلوا فواحدة**) فتراه قد شرط إباحة تعدد الزوجات بـــالعدل ، كما جعل مجرد خوف الجور والظلم سبباً كافياً في تحريم التعدد ، ثم نراه قد أعتـــبر البشر عاجزين عن العدل بين النساء ولو حرصوا. فما بالنا مع جميع ذلك نرى كثيراً من المسلمين يفقهون بعض آيات الكتاب دون بعض؟ عجباً أغفل الناس كثيراً من القواعد الإسلامية التي يجب تقدير الأعمال بها وزنه التصرفات الإنسانية بميزانها.

واعلم أن المعتزلة ، وهم كما تعلم من المسلمين ، يقولون بعدم جواز أن يتزوج الرجل ثانيه ما دامت الأولى في عصمته ، كما ذكره الأمير على في كتابه (سر الإسلام) ومـــا ذلك إلا لأنهم تتبعوا ما يجلبه ذلك من المفاسد والمضارة ، وعرفوا أن من أصول الشــريعة المحمدية إعطاء الوسائل ما للغايات من الأحكام ، فرأوا آثار تعدد الزوجات كثيرة سيئة لا يستحسنها عقل ، ولا يرضى بها شرع فحكموا بتحريمه.

لم يصـــرح القرآن بتحريم تعدد الزوجات بتاتا ، وذلك لأنه أرسل رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً ، ولا ريب أن ثمة أحوالا يحسن أو يجب فيها تعدد الزوجات ، ولا يمكن لأحـــد الفرار من الاعتراف بوجود كثير من الأحوال التي تقتضي ذلك. ولأضرب لك مـــثلاً: رجلاً تزوج امرأة فأصابها مرض مزمن ، ورجلاً تزوج امرأته فكان يستمر معها الحيـــض إلى خمسة عشر يوماً ، ورجلاً تكره امرأته المباشرة في كثير من أشهر الحمل ، وهلم جرا. فأمثال هؤلاء الرجال أما أن يصبروا مع العنت والشقة ، وقليل الصابرون ، وإما أن يأتوا الفاحشة ، وألئك هم الخاطئون.

إنـــي لأرى ، كما يرى كل عاقل ، أن تعدد الزوجات بالغة مثالية ما بلغت ، أسلم عاقبة من أتيان الفاحشة ، ومن الشواهد التي يحسن ذكرها ما نقلة الأمير علي في كـــتابة (سر الإسلام) عن السيدة غوردون الإنجليزية : أنها تأملت في أحوال كثير من البلاد الإسلامية أو الشرقية إجمالاً ، فرأت أن تعدد الزوجات أكثر ما يكون في البقاع التي تكثر فيها الفاقة ، وتقل فيها المرافق ، فيصعب على النساء الاعتماد على أنفسهن في تحصـــيل المـــرافق والأخـــذ بأســـباب العيش ، وقد رأت تلك السيدة أن هذه إحدى الضرورات التي يخول معها التعدد.

جمعتني المصادفات برجل أسباني قابلته في لندن ، فمكثنا نتحادث في كثير من مسائل الدين الإسلامي ، فمما خضنا فيه أمر تعدد الزوجات ، فقال :أنه يتمنى لو كان

مسلما فيتزوج امرأة غير زوجته. فسألته في ذلك فقال : أن امرأتي قد أصيبت بجنون ، •ها هي تلك تعالج في بيمارستان (بحريط) ولها على ذلك سنون كثيرة.

ولق اضطرني الأمر أن أتخذ بعض الأخدان لعدم استطاعتي التزوج بأخرى ، فلو أن هذا كان مباحاً لنا لكان لي عقب شرعي يرثني فيما لدى من المال الكثير ، ويكون لي قوة عين وخير رفيق أطمئن به وأسكن إليه.

ثم تقابلت في أكسفورد مع دكتور فاضل ، وقد جرت عادة الإنجليز أنهم متى رأوا غريباً سألوه في جميع ما يلج في صدورهم. سألني ذلك الدكتور عن وجه تعدد الزوجات في الإسلام ، وذكر أنه يستقبحه ، فما زلت به حتى كاد يذعن لما أبديت له من الأسباب ، ثم قال : إنني أكاد أرى وجه ما تقوله ، ولكن لي كلمة في نبيكم ﷺ ، فقلت : ما هي؟ قال : أن منزلة النبوة التي ادعاها كان يجب أن تحول بينه وبين إكثاره من عدد الزوجات. فعند ذلك قلت له : أنني يا سيدي كثير التجارب ، وقد رأيت في الإنجليز وفي المصريين والأتراك والفرنسيين وغيرهم من الأمم من لا يقنع بواحدة ولا يعكف على ما أحل الله ما دام يملك شيئاً من المال ، وهذا أيها السيد أحد الأسباب في قلة ذراري الأغنياء والمثرين وكثرة عيال الفقراء المعوزين ، ولو ملكت أيديهم فضلا من المال وسعة لما قنعوا بما أوتوا. أفتنكر بعد ذلك أن تعدد الزوجات أدعى للعفة والحصانة ، وأضمن لنمو بني الإنسان؟ فما كان من ذلك الفاضل إلا أن قال : أن معظم ما قلته حق لا مراء فيه. ثم ذكرت له أسباب إكثار النبي من النساء مما سنأتي عليه بعد ، وإنما لم أبدأ بذكر تلك الأسباب لأنني قصدت إلزامه من أول الأمر بضرورة تعدد الزوجات في بعض الأوقات آخذاً بما عليه الناس في أحوالهم الدنيوية ، التي لا يسعه إنكار شئ منها ، فلمنا أضعفت من قوة تعصبه ، وقللت من حدته ، أخذت أسرد له الأسباب التي لم يجد لإنكار شئ منها سبيلاً.

والخلاصة أن اعتبار كون تعدد الزوجات مصدراً لكثير من المفاسد ، إنما هو أمر إضافي ، ولا يمكن أتخذه حكماً عاماً ، فإن ذلك يختلف باختلاف الأمم والأزمنة والأمكنة والأحوال. أنظر إلى ما كان معروفاً في بدء النصرانية من استقباح الزواج رأساً وتقبيح المتزوجين وتفضيل الرهبانية.

ولقد قضت الرهبانية في الأعصر الخالية أن يقبر في الديور كثير من العقول الذكية ، التي لم يجن منها عالم الحياة الدنيا أقل فائدة ، أما منشأ ذلك فقد كان أما تقليد للمسيح عليه السلام ، أو لبعض أسباب أخرى كالتفرغ المطلق إلى عبادة الحق تعالى ، ولا يزال قسوس الكاثوليك يذهبون ذلك المذهب ، ويزدرون المتزوج لما دنس نفسه بميله إلى الشهوات الحيوانية ، قالوا : أن المسيح عليه السلام روح الله ، فكان أقدر الناس على غلبة شهواته ، قارنوا بينه وبين محمد ﷺ القائل " **(لا رهبانية في الإسلام)** ثم **؟أنتهى بهم القيا إلى الحط من كرامة الأخير.** وقالوا :: شتان بين من غلب نفسه ، وبين من استرسل مع هواها فأرضاها ، ولا يخفى بطلان هذه القضية فإنه لا تنافي بين الصلاح والزواج. على أن تقليد المسيح في رهبانيته لا يبلغ غايته إلا بخراب البيوت وتلاشي الأمم وانقراض النوع الإنساني ، ولا يخفى أن هذا ينافي مقتضيات العمران ، ومطالب نظام الأكوان.

لم يكن محمد ﷺ فيما أتاه بدعاً من الرسل ، فإن موسى وداود عليهما السلام تزوجا كثيراً من النساء ، و هما الرسولان اللذان لا يسع نصرانياً ولا يهودياً إنكار نبوتهما ، أو احتقار ما أتيا به من الصحف السماوية الأولى.

هذا ونذكر لك في زوجات المصطفى ﷺ ما فيه غناء أن شاء الله تعالى ، فنقول : أعلم أن أكثر المسلمين اتفقوا على أن النبي ﷺ من الخصائص ، ما لم يكن لغيره من أمته ، وذكروا أشياء منها تجاوزه بالزوجات العدد الذي أباحه لغيره بشروطه ، ولا يخفى أن مثل هذا لا يكفي لإقناع غير المسلمين ، الذين نددوا بالنبي ﷺ ، ولم يجدوا في كتب المسلمين ما ينهض حجة لهم ، اللهم إلا قليلاً ممن أيده الله بروح منه ، فنريد أن نذكر لك من أسباب ذلك ما فيه مقنع أن شاء الله.

فأعلم أن أول أزواج النبي ﷺ خديجة تزوجها قبل البعثة وهو أبن خمس وعشرين على أنها كانت بنت أربعين سنة.

قضى النبي ﷺ شبيته ، طائفة من كهولته ، ولا زوج إلا خديجة ، ماتت ﵂ قبل الهجرة بثلاث سنوات ، بعد أن مكثت مع النبي ﷺ خمساً وعشرين سنة ولدت له فيها جميع أولاده ، ما عدا إبراهيم ، فلم يتزوج النبي قبل بعثته من شاء ، وهو في ريعان شبابه ، وقد كانت العرب ، على ما علمت ، يكثرون من الزوجات حتى أن منهم من كان تحته عشرون في وقت واحد ،فلو كان هناك سلطان للهوى ، على قلب المصطفى ﷺ لأتخذ من الزوجات ما شاء ، وهو في مقتبل شبابه ، وأستكمل قواه الطبيعية ، لا شرع يحول بينه وبين بغيته ، ولا عادة تمنعة مراعاتها ، من قضاء مآربه ، ولا سيما وقد كان مرغوباً فيه بين الناس لما أشتهر به من مكارم أخلاقه ، وجميل خصاله.

بعد أن ماتت خديجة ببضعة أشهر ، تزوج النبي ﷺ سوده ، وكانت أيما مات عنها زوجها عقب رجوعه من الهجرة الثانية إلى الحبشة ، وكانت قد أسلمت رضي الله عنها وخالفت بني عمها وأقاربها ، فما أجمل ما علمه النبي من الرحمة بها وتعويضها خيراً

مما فقدت ، فقد مات عنها زوجها ولا حامي لها دون أقاربها الذين أسلمت رغم أنوفهم ، فكان تزوج النبي بها حماية لها أن تصل إليها الأذى ، كما كان ذلك أكبر سلون لها على فقد زوجها.

مـــات أبو طالب لشهر من موت خديجة ، ففقد النبي بموته رجلاً كان يناضل عـــنه ، ويدفع أعداءه ما استطاع ، فأخذ الأمر إذ ذاك يشتد على النبي ﷺ ، فرأى أن يوثـــق الرباط بينه وبين قريش ، فعقد على عائشة ، وهي إذ ذاك بنت سبع ، فإن أباها الصـــديق ﷺ كـــان صدرا وجيها في قريش . واسع المال ، عزيز الجانب ، يدلك على ذلك سرعة على ذلك مسارعة النبي ﷺ بالعقد عليها ، مع أنها قاصر وأنه لم يبن بها إلا بعـــد ذلك بنحو سنتين ، فلم تكن وقت ذاك مطمعاً لقضاء شئ من المآرب الشهوية ، حتى يطمح إليها نظر النبي أو غيره.

ومـــن هذا القبيل تزوجه ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، وكانت ببلاد الحبشة في الهجرة الثانية.

مـــات عنها زوجها هناك ، وما هو إلا أن انقضت عدتها حتى أبلغها النجاشي أنه قد كتب إليه ﷺ ليزوجه إياها.

كل من أطلع على التاريخ يعلم مقدار ما كان بين النبي وبين بني أمية من العداء ، كمـــا يعلم أنه قد كان أبو سفيان ألد بني أمية عداوة لرسول الله والمسلمين ، فإنه لم يدخل في الإسلام إلا بعد أن نال المسلمين ما نالهم من أذاه الشديد ، فتزوج النبي ﷺ أم حبيـــبة ليكون بينه وبين ألد أعدائه لحمة نسب ، تكون له في الجملة وسيلة إلى حملهم عـــلى تقـــليل الأذى عنه ، كما أنه ﷺ أختارها لنفسه ، لأنها خرجت من ديارها فارة بديـــنها ، ففـــي عـــدم حمايتها ووقايتها ، وقد مات زوجها ، تعريض لها إلى مقاساه

المصاعب والأهوال ، وإنما أختارها النبي لنفسه لمكانتها في قوامها ، فلو أنها زوجت بغير كــفء لأتخذ بنو أمية ذلك شبهة يوغرون بها صدور بيوتاتهم ، ويحرشونهم بالمسلمين على قتلهم وضعفهم.

وكانت الأسرى من النساء يتخذون أماء لا يسوى بينهن وبين الحرائر في شئ ، كمــا أنهــن أعتقن ، فأراد النبي أن يعلم المسلمين بالعمل ما ينبغي أن يصنعوا بما في أيديهــم مــن الأسرى من التحرير والكرامة ، وأن يجعلن سيدات البيوت ، فمن ذلك تزوجه بجويرية. قالت عائشة رضي الله عنها : أصاب رسول الله ﷺ سبي بني المصطلق فأخرج خمس منه ثم قسمه بين الناس فأعطى الفارس سهمين والرجل سهماً ، فوقعت جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار في سهم ثابت بن قيس ، فجاءت إلى الرسول فقالت : يا رسول الله أنا جويرية بنت الحرث سيد قومه ، وقد أصابني من الأمر ما قد علمت ، وقــد كاتــبني ثــابت عــلى تســع أوراق فــأعني عــلى فكــاكي ، فقــال : أو خــير من ذلك ، فقالت: ما هو؟ فقال: أؤدي عنك كتابك وأتزوجك ، فقــالت: نعم يا رسول الله فقال: قد فعلت ، وخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا: أصهار رسول الله يسترقون ، فأعتقوا ما كنا في أيديهم من سبي بني مصطلق ، فبلغ عتقهم مائة بيت بتزوجه عليه السلام من تزوجه بها.

ومن ذلك أيضاً تزوجه بصفية بنت حيي ، وكانت من أشراف بيوت اليهود ، ثم صارت سبباً بعد وقعة خيبر ، وكانت مما اصطفاه ﷺ من الغنائم.

وعن إبراهيم بن جعفر عن أبيه قال : لما دخلت صفية على النبي ﷺ قال لها : لم يزل أبوك من أشد اليهود لي عداوة حتى قتله الله. فقالت يا رسول الله: أن الله يقول في كــتابه (ولا تــزر وازرة وزر أخرى) فقال لها رسول الله : (اختاري فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي ، وأن اخترت اليهودية فعسى أن أعتقك فتلحقي بقومك).

فقـالت: (يا رسول الله ، لقد هويت الإسلام ، وصدقت بك قبل أن تدعوني حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب ، وما لي فيها ولد ولا أخ ، وخيرتني الكفر والإسلام فالله ورسوله أحب إلي من العتق ، وأن أرجع إلى قومي. قال فأمسكها رسول الله لنفسه ،وقد رضيته بعلا ، مع أنه كان لها أن ترجع إلى أهلها بعد العتق.

هـذا واعـلم أن أمر الثأر في الجاهية معروف ، وقد حاول كثير من الأنبياء كموسى والسيد المسيح وغيرهما حقن الدماء ، ونسخ تلك العادة القبيحة ، فلم يفلحوا ، لمـا أن ذلك كان أمرا راسخاً في نفوس العرب أشربته قلوبهم فلم ينجح فيهم دواء القـبائل بعضها إلى بعض إلى بعض ، فبذا قرب ما بينها ، وأزال كثيراً من أحقادها ، وأطفأ سورة ما في صدورها من الغل وضغائن ، حتى قلت في أيامه ﷺ الغازات ، وكاد يتناسى أمر الثارات.

زواج النبي بامرأة زيد

هذا وتتميماً لهذا الموضوع نريد أن نذكر كلمة في تزوج النبي ﷺ بزينب امرأة مولاه زيد:

قال الشيخ محمد عبده أن زينب كانت بنت عمة النبي ﷺ ، ربيت تحت نظره وشملها من عناية ما يشمل البنت من ولدها لأهل الأمر ، حتى أنه أختارها لمولاة زوجة مـع أبنائها و آباء أخيها وعد هذا عصيانا ، ولا زال كذلك حتى نزل في شأنها آيه : (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً**).

ولو كان للجمال سلطان على قلبه ﷺ لكان أقوى سلطان عليه جمال البكر في روائه ونضرة جدته ، وقد كان يراها لم يكن بينه وبينها حجاب ، ولا يخفى عليه شئ

مـــن محاسنها الظاهرة ، فكيف يمتد نظره إليها ويصيب قلبه سهم حبها بعد أن صارت زوجـــة لعبد من عبده أنعم الله عليه بالعتق والحرية؟ لم يعرف فيما يغلب على مألوف البشر أن تعظم شهوة القريب وولعة بالقريب إلى أن تبلغ حد العشق خصوصاً إذاً كان عشـــيرة منذ صغره بل المألوف زهاده الأقرباء بعضهم في بعض متى تعاشروا ، فكيف نظن أو نتوهم أن النبي الذي يقول الله تعالى : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا مـــنهم زهرة الحياة الدنيا) يخالف مألوف العادة ، ثم يخالف أمر الله في ذلك؟ أم كيف يخطر بالبال أن من عصم الله قلبه عن كل دنيئة يغلب عليه سلطان شهوة في بنت عمته ، بعد أن زوجها بنفسه لعبد من عبيده؟

(أن الـــنبي لم يـــبال بأباء زينب ورغبتها عن زيد ، وقد كان لا يخفى عليه أن نفوز قلب المرأة من زوجها مما تسوء معه العشرة ، وتفسد به شؤون المعيشة ، فما كان لـــه وهو سيد المصلحين أن يرغم امرأة على الاقتران برجل ، وهي لا ترضاه مع ما في ذلك من الضرر الظاهر بكل الزوجين ، لولا أن النبي يجد من نفسه أن هذا القران مقدمه لـــتقرير شـــرع وتنفيذ حكم الهي ، ذلك أن التصادق الأدعياء بالبيوت ، وأنصارهم بأنســـابها كان أمراً تدين به العرب ، فكانوا يعطون الدعي جميع حقوق الابن حتى من الميراث وحرمه النسب ، إلا الصريح (وما جعل أدعياءكم أبناءكم) ثم قال : (أدعوهم لآبـــائهم هو أقساط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فأخواتكم في الدين ومواليكم) فبين الله أن ليس للمتبني إلا حق المولى والأخ في الدين.

(وكـــان من عادة المصطفي أن يبادر في كثير من شرائعة إلى أقامتها بنفسه ، ليكـــون قدوة حسنة ، ومثلا صالحاً تحاكية النفوس ، وتحتذية الهمم ، وحتى يخف وزر العـــادة ، وتخلص العقول من ريب الشبهة. وعلى هذه السنة جاء تزوجه بزينب ، إذ ألهمه الله تعالى أن يتولى الأمر بنفسة في أحد عتائقه ، لتسقط العادة بالفعل ، كما ألغى

حكمها بالقول الفصل. فبعد أن صارت زينب إلى زيد لم يلن اباؤها الأول ، و لم يسلس قيادها ، بل شمخت بأنفها ، وذهبت تؤدي زوجها ، وتفخر عليه بنسبها ، وبأنها أكرم مــنه عرقاً ، وأصرح منه حرية ، لأنه لن يجر عليها رق ، كما منه عرقاً ، وأصرح منه حــرية ، لأنــه لم يجر عليها رق ، كما جرى عليه. فشكا ذلك إلى النبي غير مرة وهو يقول له: (أمسك عليك زوجك وأتق الله) إلا أنه لم يستطع الصبر على معاشرتها فطلقها ، ثم تزوجها النبي ليمزق من حجاب تلك العادة ، كما قال تعالى : (لكيلا يكون وطرا وكــان أمر الله مفعولاً) وأكد ذلك بالتصريح في نفي الشبهة بقوله: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) وقد قال العرب إذ ذاك تزوج محمد حليلة أبنه.

(قال أبو بكر بن العربي: فأما قولهم أن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه فباطل ، فإنه كان معها في كل وقت وموضوع ، و لم يكن ثمة حجاب ، فكيف تنشأ معه وينشأ معهـــا ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج وقد وهبته نفسها وكرهت غيره فلم يخطر ذلك بباله ، فكيف يتجدد هوى لم يكن..) أهم ملخصاً زيجاته فلم يكن النبي ﷺ في هذه السنوات التي أكثر فيها من الزوجات أخضع لشهوته منه وقد فــتياً لم يكلف بشيء من أعباء الرسالة ، و لم يترل به من أذى قريش وعدائهم ما كان يضعف عن احتماله ، لولا أن جعل الله من الصابرين ، هذا كله على فرض أن أنكحه النبي ﷺ كانت كلها أو بعضها بعد نزولا آيه: (فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) أما إذا كان قبل ذلك كما حققه الأمير علي في كتابه (سر الإسلام) فلا حاجة إلى التماس شئ من تلك الأسباب.

قــال الأمــير علي: أن ميمونة بنت الحارث كانت آخر من تزوج النبي ﷺ ، وكــان ذلك في السنة السابعة للهجرة و لم تكن الآية نزلت بعد ، ثم أن الله تعالى بعد ذلــك لم يبح للنبي أن يتزوج على من عنده ، كما فرض عليه ألا يتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن ألا ما ملكت يمينك) أي إلا من سبق لك التزوج بهن.

وهـــنا مسألة أولع بايرادها كثير من أحداث هذا الزمان ، قالوا: لم جاز تعدد الزوجات على شرط دون تعدد الأزواج ؟

فأعلم أن ذلك يفضي بداهة إلى اختلاط الأنساب ، فيقع اللبس في نسبه النسل ، ولا يخفـــى أن ذلك يفضي إلى تعطيل كثير من الأحكام الدنيوية ، كالنفقة والإرث وغيرهما.

وهنا مسألة أخرى وهي أنه لم جاز للمسلم أن يتزوج كتابية بخلاف العكس ؟ وجوابهـــا أن الإسلام جعل لكل كتابي أن يبقى على دينه فالكتابية في يد المسلم آمنة على دينها بخلاف العكس ، فإن المسلمة في يد الكتابي لا تأمن أن تفتن في دينها ، فإنه لا وازع له من دينه يحول بينه و بين فتنه غيرة ، ولا سيما من له عليه يسلطان كزوجته ، والناظر لما يفعل دعاة النصرانية في العصر الحاضر يرى جليا وجه ما قلناه ، ومن هنا يعلم أن المرأة لم تبخس شيئاً مما منحه الرجل.

المبحث الثامن

مشكلات الفتاة العصرية

ومعالجتها في الإسلام

١- التبرج.

٢- الاختلاط.

٣- التدخين.

٤- الخلطة الفاسدة ورفاق السوء.

٥- مشاهدة أفلام الجنس والجريمة.

٦- سوء معاملة الأبوين للفتاة.

٧- اليتم.

٨- إيثار الأولاد على البنات.

٩- المشاجرات الزوجية أمام الأبناء.

١٠- الطلاق.

١١- الإثارات الجنسية.

١- التبرج:

هو أن تظهر المرأة للرجال الأجانب الذين ليسوا من محارمها ما يوجب عليها الشـــرع أن تســـتره من زينتها ومحاسنها، فالتبرج إظهار المرأة زينتها ومحاسنها للرجال الأجـــانب الذيـــن ليســـوا من محارمها، فهو التكشف وإظهار زينة من المرأة ومفاتنها كحليها وذراعيها وساقيها وصدرها وعنقها ووجهها.

أسباب التبرج والاختلاط:

للتبرج والاختلاط أسباب كثيرة منها:

١- ضـــعف الإيمان في النفوس فالإيمان الصادق إذا تمكن في القلب ظهرت آثاره على الجوارح فيتقيد المتصف به بأوامر الله ونواهيه، وإذا ضعف الإيمان في النفوس استحسنت القبيح الحسن وصار المعروف عندها منكراً والمنكر معروفاً.

٢- قلة العلم الشرعي وظهور الجهل وقلة العلماء العاملين بعملهم الذين يحملون القدوة الحسنة لمجتمعاتهم وكثرة الجهال الذين يحملون القدوة السيئة لهم.

٣- سوء التربية والتوجيه والتعليم أولاً من جهة الآباء لجهلهم وغفلتهم أو استهتارهم، وثانيـــاً من جهة المدرسة التي لا تضم الموجهين الأكفاء ديناً وعلماً وخلقاً وسلوكاً في الرجال والنساء.

٤- وســـائل الدعايـــة والنشر من الصحف والمجلات والإذاعات المشجعة على التبرج والسفور والاختلاط.

٥-نظرة أكثر الناس إلى أوروبا وأمريكا وأنها في نظرهم المثل الأعلى في الحضارة والتقدم فيحاولون تقليدهم في كل شيء، ويظنون أن الأمة إذا تبرجت واختلطوا الخ صارت قوية أوروبا وأمريكا، وما علموا أن القوة لله جميعاً: ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]

وفي قصص الأمم الماضية في نجاة المؤمنين وهلاك الكافرين في القرآن لنا عظة وعبرة حيث أهلكهم الله في الدنيا وأعد لهم عذاب النار في الآخرة لما كفروا به وعصوا رسله ولنتأمل قوله تعالى: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۞مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[آل عمران: ١٩٦، ١٩٧].

فحذار من التقليد العمى، حذار من تقليد الغربيين والشرقيين من الكفرة والمشركين أعداء الله ورسوله وكتابه ودينه وأعداء المسلمين.

لقد خلعت الفتاة في هذه الأيام ثياب الفضيلة، وجرت وراء الأزياء الفاضحة التي صنعها لها أعداء الإسلام وأحباء الرذيلة، فقيل من الفتيات المسلمات من يلتزمن بمنهج الإسلام وأوامر القرآن، وكثيرات يضعن أصابعهن في آذانهن عندما يستمعن إلى نداء السماء جرياً وراء حضارة فارغة من الفضائل، خاوية من الخصال النبيلة.

لقد كثرت النداءات في هذه الأيام من الأفواه الآثمة والأقلام السافلة المأجورة بأصوات عالية مطالبة الملتزمات من الفتيات بخلع الحجاب، لأنه لا يتفق مع العصر الحاضر الذي نعيش فيه، بل إنه يعتبر في نظرهم تخلفاً مشيناً ورجعية مؤسفة، والمصيبة الكبرى أنهم يتوهمون أن حجاب المرأة نظام لا وجود له إلا في شريعة الإسلام وأن الإسلام هو الدين الذي قرر حبس المرأة داخل هذه الخيمة المنفردة.

إن عيب هؤلاء الناس يتكلمون دون وعي أو بغير أدلة تثبت صحة ما يقولونه، وما أصدق تعبير القرآن الكريم عندما قال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴾ [الحج: ٨]

والحق الذي يشهد به التاريخ الأمم ، أن الإسلام لم يكن وحده هو مبتكر الحجاب ومشرعة ، بل كان موجوداً قبله في التشريعات الوضعية وفي الأديان السماوية ، فهو موجود في القبائل البدائية. ففي قبائل الباجندا في أوغندة كان يحرم على أم الزوجة دخول بيت بنتها والحديث مع زوجها ، وإذا تقابلا في الطريق تنحت وغطت رأسها بثوبها ، فإن لم يكن الثوب كافياً جلست القرفصاء وأخفت عينيها وجزءاً من وجهها براحتيها.

وعرف الحجاب عند العبرانيين ، وظل معروفاً إلى ما بعد عهد إبراهيم الخليل عليه السلام بل إلى أن ظهرت اليهودية والنصرانية ، وقد تكررت الإشارة إليه وإلى البرقع في غير موضع من كتب العهد القديم والجديد.

وفي الإصحاح الثالث من سفر أشعيا ، أن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهاة برنين خلاخيلهن.

فحقيقة الأمر أن الإسلام لم يكن بدعاً في فرض الحجاب على المرأة المسلمة ، وإن كان الحجاب في القديم عادة فلا ريب أن الإسلام أصلح به أمر المرأة وجعله أدباً خلقياً هدفه منع الغواية ، والمحافظة على الحرمات.

وقد أشارت إحصائيات الولايات المتحدة عام ١٩٧٧ أنه في عام ١٩٧٦ تم أكثر من مليون حادثة إجهاض بصورة قانونية ، وأن ٧٠% من عمليات الإجهاض هذه كانت تتم لنساء غير متزوجات.

وزيـــد عـــلى ذلك بأن القانون في الدول الأوروبية جعل الإجهاض مشروعا للفتيات اللواتي دون السادسة عشر من العمر.

ومـــن الدراسات التي كشفت هذا الواقع المأساوي الذي تحياه البنت في هذه المجتمعات ، دراسة الدكتور " كنسي " التي توصل من خلالها إلى : " أن هناك مائة ألف فـــتاة أمريكية يغرر بهن سنوياً ، وأن الفتاة كانت في الماضي تتحول إلى مرأة في الثالثة عشـــرة ، وأن (١٣٠٠٠٠) طفل يولدون ولادة غير شرعية – في أمريكا – سنوياً ، ونصف هذا العدد من فتيات في سن المراهقة ".

يقول سيد قطب في " الظلال ": " أن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف ، لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين . فعمـــليات الاستثارة المستمرة تنتهي إلى سعار شهواني لا ينطفئ ولا يرتوي ، والنظرة الخائنة والحركة المثيرة ، والزينة المتبرجة والجسم العاري.

كـــلها لا تصنع شيئاً إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون ، وإلا أن يفلت زمـــام الأعصاب والإدارة. فإما الإفضاء الفوضوي الذي لا يتقيد بقيد ، وإما الأمراض العصـــبية والعقـــد النفسية الناشئة من الكبح بعد الإثارة ، وهي تكاد أن تكون عملية تعذيب ".

وإحـــدى وســـائل الإســـــلام إلى إنشاء مجتمع نظيف هي حيلولة دون هذه الاســـتثارة ، وإبقـــاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوته الطبيعية . دون اســـتثارة مصطنعة ، وتصريفه في موضعه المأمون النظيف ، قال النبي ﷺ : " **إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان** ".

وعـــن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : " **صنفان من أهل النار لم أرهما ، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون الناس بها ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مـــائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا** ".

وهـــذا الحديث من معجزات النبوة فقوله ﷺ : " **لم أرهما** " أي لم يوجدا في عصري ،و لكنهما سيأتيان بعدي.

وعـــن عـــبد الله بـــن عمـــرو بـــن العـــاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " **سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على السروج كأشباه الرجال ، ينزلون على أبواب المساجد ، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهم كأسنمة البخت العجـــاف ، العـــنوهم فإنهن ملعونات ، لو كانت وراءكم أمة من الأمم لخدمن نساؤهم نساءكم كما يخدمنكم نساء الأمم قبلكم** "

وحفاظـــاً للمجـــتمع من ضرر التبرج ، وصيانة لجسوم النساء من التهتك ولحيائهن وعفافهن وإبعاداً لنفوس الرجال من الأغراء فالتدهور ، نهى الله العليم الحكيم النساء عن التبرج وهو سبحانه الخبير بضعف الإنسان وطيش الشباب ، فواجب عليك أيتها الأخت المسلمة أن تطيعي أوامر الله ، إن كانت حقاً مؤمنة ، قال الله تعالى:

﴿ وَقُـل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أَبْصَارِهِنَ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَ إِلَّا مَـا ظَهَـرَ مِـنْهَا وَلْيَضْـرِبنَ بِخُمُرِهِنَ عَلَى جُيُوبِهِنَ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَ إِلَّا لِبُعُولَـتِهِنَ أَو آبَـائِهِنَ أَو آبَاءِ بُعُولَتِهِنَ . أَو أَبْنَائِهِنَ أَو أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَ أَو إِخْوَانِهِـنَ أَو بَـنِي إِخْوَانِهِـنَ أَو بَـنِي أَخَوَاتِهِنَ أَو نِسَائِهِنَ أَو مَا مَلَكَتْ أَيمَانُهُنَ أَوِ التَّابِعِينَ غَيرِ أُولِي الإِربَةِ مِنَ الرِجَالِ أَوِ الطِفلِ الَّذِينَ لَم يَظهَرُوا

عَـلى عَورَاتِ النِسَاءِ وَلاَ يَضرِبنَ بِأرجُلِهنَ لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَ وَتُوبُوا إلى اللهِ جَمِيعاً أَيُهَ المُؤمِنُونَ لَعَلكُم تُفلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١]

إن الله تعالى أنزل هذه الآية وهو يعلم أن من النساء من تختمر للزينة والفتنة وتتجمل بالخمار لأنها تديره على راسها مائلاً ذات اليمين أو ذات الشمال ، وتحليه ببعض الحلية ، وبإرسال خصلات من شعرها اللامع على جبينها أو تجعله على شكل تاج يزيد من جمال وجهها وحتى يكون الخمار نفسه زينة للناظرين عكس ما أراد الله من جعله ساتراً لزينتها وفتنتها وزعمت أنها أطاعت الله واختمرت كما أمر. ألا فلتعلم هذه المخادعة أن الله عليم بما في نفسها من شهوة التجمل والتبرج ، وأنه لا يخفى عليه ما في قلبها من الاحتيال والمخادعة ، فرغبتها في أن تبدو جميلة ، وأن تحوز إعجاب من يراها ولو بالخمار ، تبرج يمقته الله ، ومعصية يعاقب عليها ، ولذلك عقب قوله : ﴿ وَلَيَضرِبنَ بِخُمُرِهِنَ عَلى جُيُوبِهِنَ ﴾ بقوله: ﴿ وَلاَ يُبدِينَ زِينَتَهُنَ ﴾ أي أن الخمار وحده لا يكفي وحده مع التجمل والتزين. ثم تدبرن قوله: ﴿ وَلاَ يَضرِبنَ بِأرجُلِهِنَ لِيُعلَمَ مَا يُخفِينَ مِن زِينَتِهِنَ ﴾. تعلمن أن الله تعالى ينهي عن أستلفات النظر إلى الزينة ، وإن كانت مستورة. فالثوب الفضفاض الذي لا يبدي جمال الجسم يبرز منه شكل الأعضاء باهتزازها في الحركة العنيفة والمشية أو الألتواءة الخليعة. كما قد يسمع عند الحركة رنين الحلي المستترة.

ثم تدبـــرن قوله تعالى لأزواج النبي ﷺ ، وهن المؤمنات القانتات العابدات : ﴿ فَـلاَ تَخضَـعنَ بِـالقَولِ فَيَطمَـعَ الَّـذِى فِى قَلـبِهِ مَرَضٌ وَقُلنَ قَولاً مَعرُوفاً ﴾ [الأحـــزاب: ٣٢]. تعـــلمن أن التبرج يكون حتى في الصوت بتمارضه ولينه ودلالة. وهاكم قول رسول الله ﷺ: " **وإذا خرجت المرأة متعطرة فإنها زانية** " وهو يثبت أن التبرج كذلك يكون بتضوع ريحها ، وتعمـــد لفت النظر إليها بطيب العطر. وعن

ثيـــاب رقـــاق. فأعرض عنها وقال: " **يا أسماء ، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه** ".

أبـــاح الله للمرأة أن تكشف عن وجهها وكفيها ولكن بلا أى زينة ، فإذا هى زيـــنت وجهها بالأصباغ أو طلت جفنيها وشفتيها وجب أن تستر زينة وجهها بقناع وإذا هـــى خضبت كفها أو أظافرها وجب أن تستر زينة يديها بقفاز ، لأن الله تعالى يقول:﴿ **وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ** ﴾ فتدبروا يا أولى الألباب آيات الله وحديث رسول الله ، واعقلوا ما فيها من حكمـــة وأدب ، فما أحكم هذا الحرص الذى يأمر المرأة بألا تمتع عيـــناً غير عين زوجها بجمالها ، ولا أذناً غير أذنه بحلو حديثها ، ولا أنفاً غير أنفه بشذا عـــبيرها ، ولا خيـــالاً إلا خياله بما تخفيه من زينتها وحليها ، لتكون بذلك فى حصن حصين ، وسياج من العيون متين أمين ، بعيدة عن أنظار الفجرة الفاسقين.

فـــإذا رجع الناس إلى هذا الصراط المستقيم ، وتفهموا الحكمة فى أوامر العليم الحكـــيم ، وجدوا أنه تعالى لم ينه عن شئ إلا لما فيه عليهم من ضرر جسيم ، ولا أمر بشئ إلا وكان فيه لهم الخير العظيم ، وأنه أراد أن يحفظنا ويربينا بشرائعه وآياته الكريمة.

وما أحكم وأجمل قول فضيلة الشيخ محمد الغزالى : إننا إذا اتفقنا على أن الزنا فاحشة لم تختلف فى منع ما يؤدى إليه من تقاليد التبرج والانطلاق.

وقال النبى ﷺ " **العين تزنى وزناها النظر** ".

فلو احتشمت المرأة واجتنبت التبرج والخلاعة فى كلامها ومشيتها لما انتشر هذا الفساد والشر المستطير ، إذ من المحال أن تُصانَ الأعراض وكرامة الأسر إلا بالاحتشام والغض من البصر.

أضرار التبرج:

وبـــناء على ما تقدم فالتبرج يضر النساء والرجال فى الدنيا والآخرة ويـــزرى بالمرأة ويدل على جهلها ، وهو حرام على الشابة والجميلة وغيرها ، فتبرج المرأة ضرره عظيم وخطره جسيم لأنه يخرب الديار ويجلب الخزى والعار ويدعو إلى الفتنة والدمار . لقـــد اتبعت المرأة المتبرجة خطوات الشيطان . وخالفت أوامر السنة والقرآن ، وتعدت حدود الله واجترأت على الفسق والعصيان.

وإن مما يحز فى النفس ويبكى العين ويؤ لم القلب ما يُشاهد من بعض الفتيات فى الشـــارع والمستشفيات وهن كاشفات الأذرع عاريات السيقان ، ولا يلتفتن إلى أوامر الله وأوامر رسولهﷺ الناهية عن التبرج والسفور والأمر بالتستر والحجاب.

أخـــتى المســـلمة: احذرى التبرج وإظهار الزينة لغير المحارم ، واحذرى كثرة الخـــروج مـــن الـــبيت بدون عذر شرعى طاعة الله ولرسوله وصيانة لنفسك ودينك وعرضك عن الابتذال والامتهان.

ومن أعظم الفساد تشبه كثير من النساء بنساء الكفار من النصارى وأشباههم فى لبس القصير من الثياب وأبداء المحاسن ومشط الشعور على طريقة أهل الكفر والفسق ، ولبس الرؤوس الصناعية المسماة (الباروكه) ، قال ﷺ: **"من تشبه بقوم فهم منهم"**[1]

---

[1] رواه أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه.

٢ - الاختلاط:

تعـــريف الاخـــتلاط: هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم فى مكان واحد يمكـــنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة أو الكلام أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد ، وهو محرم.

فخلوة الرجل بالمرأة الأجنبية على أى حال م الأحوال تعتبر من الاختلاط ، وقول الله تعالى ﷻ: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب:٣٣]. يعتبر أمراً من الله تعالى للنساء بالقرار فى البيت ، وهذا الأمر فيه أيضاً نهى عن الاختلاط.

وعـــن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول : **" لا يَخلُون رجل بامـــرأة إلا ومعهـــا ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ". فقال : يا رســـول الله إن امـــرأتى خرجت حاجة ، وإنى كنت فى غزوة كذا وكذا ؟ فقال " انطلق فحج مع امرأتك "**[1].

وعن عتبة بن عامر ، أن رسول الله ﷺ قال: **"لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان"**[2]

وقد سد النبى ﷺ على الشيطان كل منفذ ، وأغلق فى وجهه كل باب ، فنهى عـــن الدخـــول عـــلى النساء فقال: **" إياكم والدخول على النساء". فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال "الحمو الموت "**[1]

---

[1] أخرجه البخارى ومسلم.

[2] أخرجه الإمام أحمد ٨/١ ، ٢٦ و ٣٣٩/٣ ، ٤٤٦ ، البخارى (٢١٤٥) ومسلم (٢٠).

والحمـــو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه ، وعمه وابن عمه ، والمعنى أن خلوة الحمـــو أشـــد خطراً من خلوة الغريب ، لأن دخوله لا يثير ريبة ، ولا يلفت الأنظار ، فكـــان صدور الخطر منه أسهل ، فهو أخبر وأقدر على جلب الأخطار التي منها تقطيع أواصر القربى أو الطلاق أو إراقة الدماء.

إن الاخـــتلاط محـــذور شرعاً حتى في المساجد التي هي دور العبادة . فقد أمر رسول الله ﷺ ألا تقف النساء مع الرجال في الصف للصلاة ، بل يقفن وحدهن بعيداً عـــن الـــرجال ، يفصل بينهم الصبيان ، بل وبين رسول الله ﷺ أن: " **خيـــر صفوف الـــرجال أولها ، وشرها آخرها ، وأن خير صفوف النساء في المسجد آخرها ، وشـــرها أولهـــا** "[2] وكان ﷺ يمكث في مكانه يسيراً ، فنرى أن مكثه لكي تنصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال.[3]

وإذا كـــان الإسلام قد أمر بتعليم الفتاة العلم النافع والثقافة الدينية المفيدة لها ، فـــيجب أن يكـــون هذا التعليم بمعزل عن الذكور ، وبمنأى عنهم. حتى يسلم للبنت عرضها وشرفها ، وحتى تكون دائماً حسنة السمعة ، كريمة الخلق ، كثيرة الاحترام.

ولعل أول تربوى نادى بالفصل بين الجنسين في حقل التعليم وغيره هو الإمام القابســـي ، فقد ذكر في رسالته عن التعليم (أن من حسن النظر ألا يخلط بين الذكور والإنـــاث) ؛ ولما سئل ابن سحنون عن التعليم المختلط ذكوراً وإناثاً فقال : (**أكره أن يُعلم الجوارى مع الغلمان لأن ذلك فساد** لهن). وإذا كان ابن سحنون القابسي يريان أن تفصـــل البنات عن الصبيان خشية الفساد — فرأيهما هذا — في الحقيقة مستمد من

---

[1]أخرجه البخارى ٣٣٠/٩ "فتح" ومسلم ١٥٣/١٤ "نووى" والترمذى ٣١٩/٢.

[2]أخرجه الخمسة إلا البخارى.

[3]أخرجه البخارى وأبو داود والنسائى.

حكم الشرع ، وحكم الشرع مُقدَّم على كل أمر وحكم فى هذه الحياة لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً ﴾ [الأحزاب:٣٦].

أما أن رأيهما مستمد من حكم الشرع فللنصوص التالية:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب:٥٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [الأحزاب:٥٩]

فكيف تتصور اختلاط المرأة بالأجنبى ، والمرأة المسلمة فى هذه الآية مأمورة بالحجاب ، وارتدائه؟؟

وروى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال : " **ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما** ".

فهذه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية تحرم اختلاط الرجال بالنساء بشكل قاطع لا يحتمل الشك ولا الجدال!!

فالذين يبيحون الاختلاط ، ويبررونه بتعويدات اجتماعية ، ومعالجات نفسية وحجج شرعية ، فإنهم فى الواقع يفترون على الشرع ، ويتجاهلون الفطرة الغريزية والواقع المرير الذى آلت إليه المجتمعات الإنسانية فى تجربتها للاختلاط ، فليسألوا

مجـــتمعات الـــدول الغربية والشرقية عما وصلت إليه المرأة من تحلل وفساد ، وإباحية وفجـــور. عـــلما أن الاختلاط أمر شائع فى كل الطبقات وعلى مختلف المستويات فى الشارع ، فى المتجر ، فى الدوائر الحكومية ، فى الجامعة ، فى الحدائق. وفى كل مكان.

فقد جاء فى كتاب "**الإسلام والسلام العالمى**" للشهيد سيد قطب: (**أن نسبة الحبالى من تلميذات المدارس الثانوية فى أمريكا بلغت فى إحدى المدن ٤٨ %**).

ونقـــلت جـــريدة الأحد اللبنانية فى العدد رقم ٦٥٠ عن الفضائح الجنسية فى الجامعات والكليات الأمريكية ما يلى:

- الفضائح الجنسية فى الجامعات الأمريكية بين الطلاب والطالبات تزداد كل عام.
- هجوم ليلى من الطلاب على غرف نوم الطالبات ، وسرقة ثيابهن الداخلية.
- وقال عميد الجامعة معقباً على الحدث: إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسياً رهيباً ، ولاشك أن الحياة العصرية الحالية لها أكبر الأثر فى تصرفات الطلاب الشاذة.

وقـــد أشارت إحصائيات الولايات المتحدة عام ١٩٧٧ أنه فى عام ١٩٧٦ تم أكثر من مليون حادثة إجهاض – بصورة قانونية – وأن ٧٠% من عمليات الإجهاض هذه كانت تتم لنساء غير متزوجات[١].

وازدادت مشكلة الحضارة الغربية تعقيداً ، عندما تحول الأطفال فى معظم هذه الدول إلى رقيق يباع ويشترى.

---

[١] نبيه عبد ربه ، حضارة الحرام ، مجلة منار الإسلام عدد ٦ ، مارس ١٩٨٤ ، ص١٠٧.

والتقارير والدراسات تؤكد يوماً بعد يوم ، أن أعداد الأمهات اللواتي يعرضن أطفالهن غير الشرعيين للبيع في تزايد مستمر ، حصوصاً بعد أن وصل السعر إلى أكثر من ألف جنيه للطفل الواحد ، وأكثر من ذلك وأعجب ، أن صفقات البيع تتم قبل أن يولد الطفل ، وقوائم الانتظار تضم مئات الطلبات . وتجرى الآن دراسات واسعة حول انتشار هذه الظاهرة في كل من بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا وهولندا ، وأمريكا."[1]

وحتى الفتيات اللواتي لا يُجهضن ولا يُبعْنَ ، لا يستطعن في ظل هذه الحضارة أن يظفـــرن بطريق السعادة ، ولا أن يحظين بأسباب الهناء! إذ أن قوانين هذه الدول ـ تُحمل الفتاة المسئولية كاملة ، في عمر لا تستطيع أن تتحمل فيه شيئاً من ذلك مما يدفع بها إلى شِعْب الضياع والشقاء دفعاً!

فعندما تبلغ الفتاة سن الرشد – وهو على العموم لا يتجاوز السادسة عشر – تجبر على كسب معاشها ، وحفظ نفسها ، وتتحمل كافة مسئوليات الحياة."[2]

ويصـــبح لزاما عليها أن تغادر منزل والديها ، وإذا سمح لها بالبقاء ، فعليها أن تسهم في إيجار المنزل ، ونفقات الأسرة.

وقانون هذه الدول ، يؤكد هو الآخر هذه الفكرة ، ويثبت هذه النظرة ، وربما كـــان بعض الفروع القانونية ، أكثر ظلماً ، وأشد قسوة ، كقانون البغاء الإنجليزي ، الذي يقدم الفتاة لقمة سائغة لوحوش الأعراض!!

---

[1] الأهرام المصرية ، ١٩٧٤/٥/٢٩ ، وانظر أيضا حسين يوسف ، أهداف الأسرة في الإسلام والتيارات المضادة ، دار بو سلامه ، تونس ، الطبعة الثانية ، د ١٩ ، ص ٢١.

[2] حسين محمد يوسف ، أهداف الأسرة في الإسلام ، المرجع السابق ، ص٢٨.

فيعتـــبر كل طفلة – كما تقول مسز بتلز – بلغت الثانية عشرة من عمرها ، امرأة كاملة العقل ، كاملة الإدراك مما ييسر سقوطها ، ويبرر التلاعب بها!

والأمر لم يتوقف عند حد اعتداء المجتمع على الفتاة ، وظلم القانون وإنما تعدى ذلـــك إلى الأسرة ، والأبحاث المختصة التى نشرتها صحيفة **"الهيرالدتربيون"** الأمريكية بتاريخ ١٩٧٩/٦/٢٩ تؤكد أن ظاهرة الاعتداء الجنسى والجسدى على البنات اللواتى لم يبلغن سن الرشد بعد ، من قبل محارمهن كالأب ، والأخ ، والجد ، والعم ، لم تعد نـــادرة الحـــدوث ، وإنما تفشت لدرجة يصعب تصديقها ، **فهناك عائلة من كل عشر عائلات يُمارس فيها هذا الشذوذ العجيب!**[1]

والواقع المرير الذى تحياه الفتاة الأوربية. من صرخة الوضع إلى أنه النزع ، دفع بهـــا إلى حقل الجريمة دفعاً ، حتى أن الإحصائيات المتأخرة كشفت عن أن ٢٦% من أعضاء الحركات الإرهابية فى ألمانيا – على سبيل المثال – من النساء.[2]

وهـــذه كاتـــبة أمريكية وهى هيلين سناتسيرى التى عاشت فى مجتمع لا يلتزم بالحجاب. وقد عانت هى وكثيرات من بنى جنسها الويلات الكثيرة من السفور والتبرج لأن السفور لا يعود إلا بالضرر الجسيم. وتقدم نصيحتها لدى النسوة المعجبات بالمرأة الغـــربية والسفور الوارد إلينا من الغرب ، ولعل المرأة المسلمة تستمع هذه النصيحة من امـــرأة لا تعرف الإسلام – على أن الإسلام سبقها بمكانة عظيمة – ولكن نقدم هذه الكاتـــبة للمفتونين بالغرب فنقول: " إن المجتمع العربى كامل وسليم ، ومن الخليق بهذا المجـــتمع أن يتمسك بتقاليده التى تقيد الفتاة والشباب – فى حدود المعقول – وأن هذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوربى والأمريكى ، فعندكم تقاليد موروثة تحتم تقييد المرأة

---

[1] نبيه عبد ربه ، حضارة الحرام ، مرجع سابق ، ص١٠٦-١٠٧.

[2] نبيه عبد ربه ، حضارة الحرام ، مرجع سابق ، ص١٠٦.

وتحتم احترام الأب والأم ، بل وتحتم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية التى تهدد اليوم المجتمع.

والأسرة فى أوربا وأمريكا ، ولذلك فإن القيود التى يفرضها المجتمع الغربى على الفتاة الصغيرة. وأقصد ما تحت سن العشرين هذه القيود صالحة ونافعة ، لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة بل ارجعوا إلى عصر الحجاب فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوربا وأمريكا.

وأضافت تقول: امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه فى أمريكا الكثير ، لقد أصبح المجتمع الأمريكى مجتمعاً معقداً مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة ، وأن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملئون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية ، أن الحرية التى أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات (جيمس دين) ، وعصابات للمخدرات والرقيق ، أن الإباحية والحرية فى المجتمع الأوربى والأمريكى هدد الأسرة وزلزال القيم والأخلاق ، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين فى المجتمع الحديث تخالط الشبان وترقص الشاتشتشا وتشرب الخمر والسجائر ، بل وتتعاطى ذلك باسم المدنية والحرية والإباحية.

والعجيب فى أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت سن العشرين تلعب وتلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصره ، بل تتحدى والدها ومدرسها المشرفين عليها تتحداهم باسم الحرية والاختلاط ، وتتحداهم باسم الإباحية والانطلاق ، تتزوج

فى دقــائق وتُطلق بعد ساعات ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء وعشرين قرشاً وعريس لليلة أو لبضع ليال وبعدها يتم الطلاق ، وربما الزواج فالطلاق مرة أخرى.[1]

فالذين يدعون إلى اختلاط الأنثى بالذكر فى بلاد الإسلام ، ويريدون أن يكون شــائعاً مطبقاً فى حياتنا الاجتماعية ، ما هم فى الحقيقة إلا أداة دعاية وتنفيذ لمخططات أعــداء الإســلام من أصحاب مذاهب مادية وإلحادية وإباحية ، التى تستهدف إفساد المجــتمع المســلم ، وهــدم كيانه ، وذلك بتمزيق القيم الأخلاقية والمفاهيم الدينية بين الشــباب والشابات وإشاعة الميوعة والانحلال فى كل ناحية من نواحى المجتمع المسلم ، فالمــرأة عند هؤلاء هى أول الأهداف فى هذه الدعوة الإباحية ، والميدان الماكر ، فهى العنصر الضعيف والعاطفى لتنفيذ أى مخطط لدعوة إباحية ، ومنهج استعمارى.

يقــول أحد أقطاب المستعمرين: كأ ، وغانية تفعلان فى تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع ، فأغرقوها فى حب المادة والشهوات.

وذكــر جورج بالوش فى كتابه "الثورة الجنسية" ما يلى" **وفى سنة ١٩٦٢ صرح كيندى بأن مستقبل أمريكا فى خطر لأن شبابها مائع منحل غارق فى الشهوات لا يُقدر المسئولية الملقاة على عاتقه ، وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجــد ســتة غير صالحين ، لأن الشهوات التى أغرقوا فيها أفسدت لياقتهم الطبية والنفسية".**

[1] مجــلة "صــوت الإسلام" القاهرية فى عددها ٤١ بتاريخ ١٠ صفر عام ١٣٨٢ هــ نقلاً عن جريدة الجمهورية القاهرية الصادرة فى ٦ محرم.

وأخـــيراً فما على المسئولين من آباء وأمهات إلا أن يبعدوا أولادهم عن كل مظاهـــر الـــتميع والانحلال ، وأن يسعوا جهدهم لكى يغرسوا فى نفوسهم أنبل معانى الكرامة والشخصية والخلق العظيم!!

واعلموا أنكن إن قصرتم فى حق أولادكم وبناتكم من الناحية الخلقية ، فإن من لهـــم عـــليكم حق التربية سينشأون – لا شك – على الميوعة والانحلال ويتربون على الفساد وسوء الخلق. وعندئذ يصبحون خطراً على الأمن والاستقرار ، ويكونون أدوات هدم وتخريب فى المجتمع.

آثار التبرج والاختلاط:

للتبرج والاختلاط آثار سيئة منها:

١- حلول الزنا والسفاح محل الزواج الشرعى ، وجريمة الزنا أخطر على البشرية من القنابل الذرية لأن فيه اختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض وانتشار الأمراض.

٢- فساد الأسرة وانهدام العائلة وتفشى الطلاق لاستغناء كل من الزوجين عن الآخر بغيره.

٣- شيوع الفواحش ، وسيطرة الشهوات فتطغى الشهوات وتنتشر المفاسد وتكثر الأمراض.

٤- القضاء على النسل البشرى والنوع الإنسانى ، فإذا اكتفى الناس بالزنا محل الزواج الشرعى فإن الزانية لا ترغب فى الحمل الذى يهدد جسمها ويلحقها بسببه العار والفضيحة لذلك تحاول الخلاص منه بكل السبل.

٥- انتشار العادات السيئة كعملية العادة – الاستمناء – والزنا واللواط وخصوصاً بين المراهقين بسبب تهيج الشهوة عن المشاهدة والمخالطة بين الجنسين مع التبرج والزينة.

٦- شقاء الرجل والمرأة على السواء لأن كلاً منهما لا يجد الحياة السعيدة إلا فى الحياة الزوجية المستقيمة ، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

٧- الإساءة إلى المرأة بالذات فخروجها متبرجة متزينة مخالطة للرجال يعرض عفافها وعرضها للأذى والسوء والفحشاء من قبل الأشرار والسفهاء.

٨- الانهيار الخلقى الشامل بسبب هذه الأخطار والأمراض والمساوئ ، فينتشر الكذب والخداع والغش والخيانة وتفشى العادات الخبيثة والمعاملات السيئة ، وينعدم الحياء والحشمة.

والمجتمع المختلط المتبرج محروم من ذلك كله لأنه فى غفلة عن الله والدار الآخرة.

هذه هى عواقب التبرج والاختلاط بين الجنسين ، وهى عواقب خطيرة تهدد المجتمع الإنسانى بالانحطاط والانهيار وتهبط بالإنسان إلى مستوى الحيوان.

لذا فإن الإسلام حرم الاختلاط بين الرجال والنساء الأجانب ، وجعل لكل منهما بيئته الخاصة به لتأمن الإنسانية وتسلم البشرية ويحتفظ الإنسان بكرامته وإنسانيته ودينه.

٢- التدخين:

ما كنا نظن أن المرأة المسلمة فى يوم من الأيام تقبل أن تطرح تقاليدنا وآدابنا الإسلامية ، وتهدم أنوثتها ، وتقبل على عادة التدخين التى تشوه منظرها ، وتتلف أسنانها ، وتؤذى صحتها ، وتضخم صوتها ، وتسبب رائحة كريهة للفم ، والله سبحانه وتعالى قد أحل للإنسان الطيبات ، وحرم عليه الخبائث للحفاظ على جسمه ، وسلامة خلقه وتفكيره ، وظهوره فى المجتمع بمنظر جميل ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ ﴾ [النساء:٢].

ثم إن الدخان يؤدى إلى تخدير العقل وفتور الجسم ، وقد نهى النبى ﷺ عن كل مفتر ومسكر ومخدر ، وذلك فى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه بسند صحيح عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: " **نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر** " أى مخدر.

وهذه النصوص تؤكد أن تناول الدخان حرام ، واجتنابه واجب لضرره الجسيم على الجسم بالإضافة إلى أنه بسبب إضاعة المال فى أضرار يعود أثرها على الفرد والأسرة والمجتمع ، وقد نهى النبى ﷺ عن إضاعة المال – كما جاء فى صحيح البخارى.

إن المرأة من شأنها نشر الطيب ، والروائح العطرية التى تسرُّ الخاطر داخل المنزل ، وتنعش الفؤاد وتجلب السرور.

فإياك أيتها المسلمة وعادة التدخين ففيها تشبه بأعداء الإسلام ، وخروج عن الذوق السليم.

وهذه العادة السيئة مخالفة لطبيعة الأنثى الرقيقة التى خلقها الله عليها.

وقد حذرت منظمة الصحة العالمية[1] بمناسبة اليوم العالمى لمحاربة التدخين من أن حوالى ٥٠٠ مليون شخص – أى واحد من كل عشرة أشخاص – يموتون بأمراض مرتبطة بالتدخين مثل سرطان الرئة ، وأمراض القلب والجهاز التنفسى. وذلك إذا ما استمر معدل التدخين على ما هو عليه الآن.

وذكر روبوتو ماسترونى أحد مسئولى المنظمة أن الدراسات الأخيرة بينت أن عمر المدخنين ينقص بحوالى ١٥-٢٠ سنة ، وأن حياة الأطفال الذين يعيشون مع أسرة

---

[1] جريدة الأهرام الصادرة فى ١٩٩٠/٦/١.

مدخنة تتعرض للخطر قبل أن يولدوا . وأن هؤلاء الأطفال يعانون من أمراض فى الجهاز التنفسى لأنهم يتعرضون لدخان يوازى تدخين ٨٠ سيجارة سنوياً.

وقد ثبت بالدليل القاطع أن التدخين له آثار ضارة على المرأة الحامل هى:

- الإجهـــاض المبكر للحمل هو الخطر الأول والأكبر ، فقد دلت جميع الإحصاءات العملية على أن قابلية السيدة الحامل للإجهاض يتضاعف بالتدخين ويزيد هذا الخطر كـــلما كـــان التدخين أثناء الشهور الأولى من الحمل فمادة النيكوتين فى السجائر يمتصها دم الأم من الرئة لتسرى فى جميع أجزاء الجسم ، ومن ضمنها الرحم والمشيمة ، حيث تؤثر على مهد الجنين الصغير وتسبب انفصاله عن مصدر غذائه وإعالته من الأم.

وتكـــون النتيجة المحتومة لهذا الإجهاض الذى يتكرر طالما أن السبب موجود وهو التدخين أثناء الحمل.

- تشوهات الجنين أثناء الحمل مشكلة خطيرة يتزايد عدد ضحاياها باستمرار خصوصاً فى العصر الحديث.

وقد كشفت البحوث عن علاقة وثيقة بين التدخين وهذه التشوهات فبالإضافة إلى النيكوتين يشير إصبع الاتهام فى هذا المجال إلى كثير من نواتج احتراق السيجارة مثل القطران وغيره.

وتختلف هذه التشوهات فى نوعها وحدتها ، ولكن الجهاز العصبى للجنين هو أول ضحايا هذه المواد الغريبة ، وتأتى بعد ذلك الدورة الدموية والقلب والعينان وباقى أجهزة الجسم.

- وفاة الجنين أثناء الحمل داخل الرحم وحدوث الولادة قبل موعدها الطبيعى مما ينتج عنه طفل غير كامل النمو ، غير قادر على مواجهة الحياة ومتاعبها ، كل هذا وغيره الكثير تثبت بالإحصائيات المتكررة حدوثه بكثرة للحوامل المدخنات.

كما أن الأمهات المدخنات قد يجنين على أطفالهن لأن النيكوتين وبعض نتائج احـــتراق السيجارة يفرزها الثدى مع اللبن فى فم الطفل الرضيع ، وأترك لك أن تتصور الأخطار التى قد يتعرض لها هذا الكائن الضعيف فى أيامه وأسابيعه الأولى فى الدنيا.

٤- الخلطة الفاسدة ورفاق السوء:

مـــن العوامـــل المهمـــة التي تؤدي إلي انحراف الفتاة ، رفاق السوء والخلطة الفاســـدة ،وخصوصاً إذا كانت الفتاة بليدة الذكاء ،ضعيفة العقيدة ،فسرعان ما تتأثر بهذه الرفقة وسرعان ما تكتسب منهم أقذر العادات ، وأقبح الأخلاق وتسير معهم فى طريق الانحلال والضياع ، ويصعب بعد ذلك ردها إلى الطريق المستقيم.

والإســـلام يأمر الآباء والأمهات أن يراقبوا بناهم مراقبة تامة ، وخاصة فى سن المراهقة ، ليعرفوا من يخالطون ويصاحبون ، وأين يذهبون؟

كما أمرهم الإسلام أن يختاروا لهم الرفقة الصالحة ليكتسبوا منهم الخلق الكريم والعادات الحميدة الفاضلة.

كما أمرهم أن يحذروهم من خلطة رفاق السوء حتى لا يقعوا فى حبائل غيهم ويكتســـبوا مـــنهم العـــادات السيئة ، ولقد حذرنا الإسلام من هذا ، قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِى ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [ق: ٢٧].

ويقــول النبى ﷺ فيما رواه الترمذى: " **المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل** ".

وقال ﷺ فيما رواه الترمذى " **المرء من أحب ، وله ما اكتسب** ".

وقال ﷺ - فيما رواه ابن عساكر-: " **إياك وقرين السوء فإنك به تعرف** ".

فمــا أحســن الآباء والأمهات أن يأخذوا بهذه النصائح ، حتى تنصلح أحوال أبنائهم فينصلح المجتمع بصلاحهم. ويصبحوا أبناء نافعين للوطن.

٥- مشاهدة أفلام الجنس والجريمة:

من العوامل الخطيرة التى تؤدى إلى انحراف الفتاة ، وتدفعها إلى ارتكاب الجريمة ما تشاهده فى دور السنيما والتلفزيون من روايات بوليسية وأفلام خليعة وما تقرؤه من مجلات ماجنة وقصص مثيرة ، وهى بجملتها تشجع على الانحراف والإجرام ، لأنه كثيراً ما يشعر المراهق أنه يعيش قصة حب. وذلك طبعاً تحت تأثير السنيما والتليفزيون الذى دخـل كل منزل ، ولا تمر ساعة دون أن يُعرض مسلسل أو فيلم غرامى. وتحت ذلك التأثير يقع الكثير من المراهقات والمراهقين فى ذلك الوهم الغرامى أسوة بأبطال الأفلام ، ومعالجــة الأمــر بهــدوء دون اى عنف أو إثارة لمشاعر المراهقة العدائية كفيل بإنهاء الموضوع ، فأغلب هذه القصص الغرامية العنيفة تموت وحدها فجأة بعد مرور شهر أو اثنين موتاً طبيعياً دون تدخل من الأهل.

فالمراهق يشاهد أفلام الرعب فتثيره وتشبع مخاوفه وتدغدغ أحاسيسه بمناظرها ويقرأ الكتب الممنوعة سراً ، ويمكننا القول بأن مرحلة المراهقة هى مرحلة التحسس على الجــنس. أو السير على شاطئ الجنس فقط دون الدخول فى بحاره ، وموضوع الجنس

ومناقشته مع الابنة المراهقة شائك يتحرج الأهل من الحديث فيه. ولكن يجب أن تتغلب الأم عـــلى الخجل فى مواجهة هذا الموضوع فذلك أفضل كثيراً من ترك الأمور للابنه المـــراهقة وحدها تجمع معلوماتها فيه كيفما اتفق ، ومن المصادر المحيطة بها سواء كانت كتـــباً أو قصصاً تحكيها زميلاتها ، فمثل هذه الطريقة تساعد على جمع معلومات فيها الكثير من المبالغات والتشويش مما يربط موضوع الجنس فى ذهن المراهقة بمخاوف عميقة وأفكـــار مشوشـــة تؤثر تأثيراً سيئاً فى حياتها مستقبلاً. كذلك بالنسبة لوحظ أن بعض الأمهـــات لا يرضين بنضج البنت ودخولها مرحلة المراهقة فذلك يعنى بالنسبة للأمفقد طفلـــتها ووصل منافسة لها ، كما يظهر كبر سن الأم التى ترغب فى التمسك بشبابها. ومـــثل هـــذه العواطـــف غير الطبيعية يجب السيطرة عليها ، فطفلة الماضى هى رفيقة وصـــديقة الحاضر والمستقبل بالنسبة للأم ، وتكوين صداقة حميمة بين الأم وابنتها تجعل مرحـــلة المراهقة الحرجة فترة هادئة نوعاً ما بالنسبة للابنة ويمكنها اجتيازها بسلام دون وقوع فى أخطاء الجنس وما قد يتبعها من مشكلات.

وكذلـــك واجـــب على الآباء والأمهات أن يمنعوا أبناءهم من شراء المجلات الخـــليعة ، واقتناء القصص الغرامية ، ومطالعة كتب الإلحاد ، وواجب عليهم أن يمنعوا أولادهـــم كذلك من مشاهدة الأفلام الجنسية والبوليسية ، وباختصار يجب منعهم عن كل ما يضر بعقيدتهم ويدفعهم نحو الرذيلة والإجرام لكى يقوموا بمسئوليتهم كاملة تجاه أبنائهم ، تحقيقاً لقول النبى ﷺ **" الرجل راع فى بيت أهله ومسئول عن رعيته "**[1]

---

[1] رواه البخارى ومسلم.

٦- سوء معاملة الأبوين للفتاة :

مـــن العوامل الخطيرة التى تؤدى إلى انحراف الفتاة ، سوء معاملة الأبوين لها ، ويؤكد ذلك علماء التربية ، فيقولون إن الفتاة إذا عوملت معاملة سيئة من الأبوين ، فإن ردود الفعـــل ستظهر فى سلوكها وخلقها ، وإن ظاهرة الانكماش والخوف ستبدو فى تصـــرفاتها وأفعالها ، وقد يؤدى بها هذا إلى الانتحار ، أو ترك البيت نهائياً ، تخلصاً مما تعانيه من المعاملة القاسية ، والقسوة الظالمة.

فعلى الوالدين أن يغلفا قسوتهما بغلاف من الرحمة ، وغلالة من لين:

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما   فليقس أحياناً على من يرحم

تـــلك القســـوة الرحيمة أو الرحمة القاسية من أهم أسسي التربية التى يجب أن يعتمد عليها رب الأسرة والقوام عليها. أما إذا تخلى عنها ، ففرط أو أفرط. إن فرط فى العقـــاب فســـوف يعقـــد أبناءه وبالتالى سوف يكرهونه ، وإن أفرط الأب فى الحنان والعطف اهتزت شخصيته فى عيون أولاه ، واضطراب زمام القيادة فى يده ، واستخف الأبـــناء بمســـئولياتهم ، والعطف الأبوى على الأبناء يجب أن يكون كذلك على القدر المعقول والطريقة الحكيمة هى:

عطف مقرون بالحكمة وحب ممزوج بشدة ، لا إفراط ولا تفريط.

لا ينبغى أن نترك أولادنا فى هذه الفترة الحرجة من عمرهم يعبثون بما يشاءون بحجة التربية الاستقلالية.

والطفلة كما تشذ إذا حرمت من العطف والحنان كذلك تشذ إذا زاد عليها العطف ، وأطلق حبلها على الغارب . ولا يصلحها إلا مزيج من جرعات قسوة ورشفات من حنان وبسمات عطف ، ولمسات توجيه وتثقيف وإرشاد.

يقول زيد بن علي : إن خير الآباء للأبناء من لم يدعه الحب إلى التفريط وخير الأبناء للآباء من لم يدعه التقصير إلى العقوق.

فعلى المربى – أباً أو أماً أو معلما – أن يخط فى صحة الطفولة النقية البيضاء ما يريد من تعاليم ومثل ، وأن ينقش عليها ما يراه من صفات وأخلاق حميدة حتى ينشأ الأولاد على الاستقامة ويتربوا على الجرأة واستقلال الشخصية ، وبالتالى يشعرون أنهم ذوو تقدير واحترام وكرامة.

وأن يكون كل من الأب والأم مثلاً أعلى مجسماً للمثل العليا التى يريدون غرسها فى أولادهم ، قال عمر بن عتبة لمعلم ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما صنعت ، والقبيح عندهم ما تركت ، علمهم كتاب الله ولا تملهم فيه فيتركوه ، ولا تتركهم منه فيهجروه ، زدهم من الحديث أشرفه ، ومن الشعر أعفه ، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه ، فإن ازدحام الكلام فى القلب مشغلة للفهم ، وعلمهم سنن الحكماء ، وجنبهم محادثة السفهاء ، ولا تتكل على عذر منى ذلك فقد اتكلت على كفاية منك"[2]

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾

---

[1] العقد الفريد ، جـ٢ ، ص٦٢.
[2] العقد الفريد ، جـ٢ ، ص٢٦١.

[آل عمران: ١٥٩]

وقال النبى ﷺ فيما رواه البخارى : " **إن الله يحب الرفق فى الأمر كله** ".

وقال النبى ﷺ فيما رواه أحمد والبيهقى: " **إن أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق ، وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه ، وإن العنف لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه** ".

٧- اليُتم:

من العوامل الأساسية التى تؤدى إلى انحراف الأولاد: اليتم الذى يعترى الصغار (أولاد أو بنات) وهم فى زهرة العمر ، ومقتبل الحياة ، هذا اليتيم الذى مات أبوه وهو صغير ، وحرم من عطف أبويه ، وفقد دفء الأمومة وحنانها ، إذا لم يجد اليد الحانية التى تحنو عليه والقلب الرحيم الذى يعطف عليه والرعاية الكاملة التى ترفع من مستواه ، فلا شك أن هذا اليتيم سوف يتدرج نحو الانحراف.

والقرآن الكريم أوصى باليتيم ، وعنى بأمره وأثار عاطفة الناس إليه وحضهم على الإحسان به ليجد فى حنانهم بديلاً عن حنان أبويه ، وبذلك تصفو نفسه ويخلو فؤاده من الحقد على المجتمع وكراهية المحيطين به. قال تعالى فى كتابه الحكيم: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً** ﴾ [النساء:٩].

قال تعالى: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ** ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ **فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ** ﴾ [الضحى: ٩].

وبشر الرسول ﷺ بالجنة كل من يكفل اليتم ويقوم بأموره فقال : " **أنا وكافل اليتم فى الجنة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى** ".

فرعاية اليتيم وكفالته واجبة على ذوى القرابات من العصبات والأرحام ، وفى حالـــة الفقـــر وعجـــزهم المادى ، واجب على الدولة أن تتعهده وتشرف على تربيته والإنفاق عليه ، فيكون ذلك أبعد له من التشرد والضياع والإهمال.

٨- إيثار الأولاد على البنات:

إن عملية المفاضلة بين الأولاد والبنات من أعظم العوامل التى تؤدى إلى انحراف البنات النفسى سواء كانت المفاضلة بينهم فى العطاء أم فى المعاملة أم فى المحبة!!

وهـــذه الظاهرة لها أسوأ النتائج فى انحرافات الفتاة السلوكية والنفسية ، لأنها تولـــد الحســـد والكراهية ، وتسبب الخوف والحياء والانطواء والبكاء ، وتورث حب الاعـــتداء والمشـــاجرة والعصيان ، وتؤدى إلى المخاوف الليلية ، والإصابات العصبية ومركبات الشعور بالنقص.

والمفاضلة أو الإيثار بوغر الصدور ، ويولد الحزازات ، لذلك نهى الإسلام الاباء أن يؤثروا بعض أبنائهم على بعض ، حتى لا يمتلئ الأبناء حقداً عندما يرون أباهم يخص أحدهـــم على الآخر بعطفه وحنانه. وحتى لا تمتلئ نفوس البنات حسرات حينما يرون أنهن أقل من إخوتهن البنين إنصافاً ومساواة وتقديراً.

وجـــزاء هذه المساواة ، سعادة فى الدنيا والآخرة كما جاء فى سنن أبى داود ، عن ابن عباس أن الرسول ﷺ قال: " **مـــن كانت له انثى ، فلم يهنها ولم يؤثر ولده عـــليها أدخلـــه الله الجنة** ". لا تفريق فى المعاملة بين الذكورة والأنوثة ، إذ لا اختيار

للوالد فى نوع المولود وإنما هو هبة من الله يقول المولى عز وجل ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾ [الشورى: ٤٩ ، ٥٠].

وهبة الله تستقبل دائما بالحمد والشكران ، وجزاء الشكران المغفرة والجنة والرضوان ، قال رسول الله ﷺ : " **من كان له ثلاث بنات فأنفق عليهن وأحسن إليهن حتى يغنيهن الله عنه أوجب الله له الجنة إلا أن يعمل عملاً لا يغفر له** ".

والأولاد نعمة من الله (سواء كانوا بنين أو بنات) لا يحس قدرها ولا يعرف مقدارها إلا من حرم منها ، والبنون زينة الحياة قال تعالى: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

وحبنا لهم يجب أن يكون بمقدار واحد وإلا قادونا إلى التهلكة يقول المولى عز وجل: ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [التغابن:١٥].

وروى عن النبى ﷺ أن قال: " **ساووا بين أولادكم فى العطية** "[1]

فيؤخذ من هذه التوجيهات النبوية الكريمة مبدأ تحقيق العدل ، والمساواة والمحبة فيما بين الأولاد ، دون أن يكون لعنصر التفريق أو التميز مكان بينهم.

٩- المشاجرات الزوجية أمام الأبناء:

من العوامل الأساسية التى تؤدى إلى انحراف الأولاد ، احتدام النزاع ، واستمرار الشقاق ما بين الأب والأم ، فى أعظم ساعات اللقاء والاجتماع ، فالفتاة

[1] رواه الطبرانى.

حـــين تفـــتح فى البيت عينيها ، وترى ظاهرة الخصومة أمام عينيها ، ستترك حتما جو البيت القاتم وتهرب من محيط الأسرة الموبوء ، لتفتش عن رفاق تقضى معهم جُل وقتها وتصرف فى مخالطتهم فراغها . فهؤلاء إن كانوا قرناء سوء ورفقاء شر ، فإنها ستندرج معهم إلى الانحراف.

كمـــا أن الفتاة التى ترى والديها يتشاجران باستمرار وبعنف يتولد فى نفسها الشـــعور بعدم الطمأنينة ، ولاسيما إذا حاول الولدان أن يشركا أولادهم فى النزاع عن طريق الطلب منهم أن يتحيزوا للأب أو للأم.

وينـــبغى بصفة عامة عند حدوث أى توتر فى الأسرة أن يظل أمره مكتوماً بين الزوجين يحاولان معاً إزالته والقضاء عليه ، يقول الرسول ﷺ : **"استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان"**.

فإن لم يكن هناك بد من إعلام أحد ، فليكن أقرب المقربين للأسرة ، ولا يخبر إلا بوجود خلاف ما ، أما طبيعة الخلاف وماهيته فلا ينبغى إعلامه بها فى هذه المرحلة ، لونا فى آل بيت الرسول الكريم ﷺ أسوة حسنة ، **فقد جاء النبى ﷺ إلى بيت فاطمة فـــلم يجـــد عـــلياً** ، **فقال: "أين ابن عمك؟ فقالت: كان بينى وبينه شئ فغاضبنى فخـــرج. فقال النبى ﷺ لرجل: انظر أين هو؟ فقال: هو فى المسجد راقد ، فجاءه وهـــو مضـــطجع ، وقـــد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب ، فجعل النبى ﷺ يقول : قم يا أبا تراب .. قم يا أبا تراب** ".

قال راوى الحديث سهل بن سعد: **"وما كان له اسم أحب إليه منه"**[1]

---

[1] الحديث أ خرجه الشيخان.

وبـــنظرة سريعة إلى هذا الخبر يتبين لنا كيف أن السيدة فاطمة لم تخبر النبى ﷺ بطبيعة الخلاف وماهيته ، بل كل ما أعلمته إياه هو مجرد وجود خلاف وحسب ، كما يتبين حسن تصرف الإمام على بن أبى طالب الذى لم يدع مجالاً لاتساع شقة الخلاف والغضـــب ، فـــترك زوجته وذهب إلى أفضل مكان ترتاح فيه الأعصاب وتصفو فيه النفوس.

كما يتبين لنا كيف كان رسول الله ﷺ حكيماً ، إذ لم يسأل ابنته عن أسباب الخلاف وتفاصيله ، كما لم يعاتب أو يلوم الإمام علياً ، بل داعبه ولاطفه بأسلوب كان له أبعد الأثر فى زوال الغضب والضيق.

وهذا ما يجب علينا اتباعه أزواجاً وزوجات وآباء فى مثل هذه المواقف ، سواء كان التوتر من جانب الزوجة أم من جانب الزوج.

١٠ – الطلاق:

مـــن العوامل الأساسية التى تؤدى إلى انحراف الأولاد (بنات أو بنين) حالات الطلاق وما يصحبها من تشرد وضياع ، وما يعقبها من تشتت وفراق.

فالفتاة إذا تفتحت على الدنيا عيناها ، و لم تجد الأم التى تحنو عليها ، ولا الأب الـــذى يقـــوم على أمرها ويرعاها ، فإنها بدون شك ستندفع نحو الجريمة وتتربى على الفساد والانحراف.

وممـــا يزيد الأمر سوءاً ، زواج المطلقة من زوج آخر فإن الأولاد سيؤولون فى الغالب إلى التشرد والضياع.

ومما يعقد المشكلة أكثر ، فقر الأم بعد الطلاق فإنها فى هذه الحالة ستضطر إلى العمل خارج المنزل ، وتترك أولادها الصغار للشارع ، تعبث بهم فتن الأيام وحادثات الليالى دون رعاية أو عناية ، فلا يجدون الطعام الكافى الذى يسد جوعتهم ، ولا الكساء الواقـــى الـــذى يســـتر عورتهم ، ولا المسكن الصالح الذى يحقق لهم راحتهم ويحفظ صحتـــهم ، فيكون مصيرهم التشرد والضياع والانحراف.

والإسلام بمبادئه الرشيدة أمر كلا من الزوجين أن يقوما بالحقوق نحو بعضهما الـــبعض ، حتى لا يؤول الأمر إلى نتائج لا تحمد عقباها ، وقد سبق أن تناولنا الحديث عن حقوق الزوجة والزوج.

أما فى حالة تعذر الوفاق بين الزوجين لسوء خلق الزوج أو لسوء خلق الزوجة ولا يمكـــن أن يعيشـــا معـــاً ، وأصبحت الحياة مستحيلة بينهما فعلى الزوج أن يأخذ الاحتياطات الآتية قبل وقوع الطلاق:

١- الوعظ والإرشاد.

٢- الهجر فى المضجع: وهى عقوبة نفسية ، لعل المرأة تعود إلى صوابها.

٣- الضرب غير المبرح: إذا كان باعتقاده أنه ينفع ، ويشترط فيه أن لا يكون شديداً ، ثم بالـــتالى لا يترك أثراً فى جسم المرأة ، ويشترط كذلك أن لا يكون الضرب مواضع مؤذية كالوجه والصدر والبطن. وهو بهذه الشروط إلى التهديد أقرب منه إلى الإيـــلام والإيذاء. علما بأن الرسول ﷺ وهو القدرة الحسنة لم يضرب امرأة قـــط ، فقد روى ابن سعد عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : **" ما ضرب رســـول الله ﷺ بيده امرأة قط ، ولا خادماً ، ولا ضرب شـــيئاً قط ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله ".**

٤- اللجوء إلى التحكيم : وذلك بتدخل وسطاء عقلاء من أهله وأهلها . يدرسون المشكلات القائمة بين الزوجين . ويقترحون الحلول العملية لإعادة الوفاق والتفاهم بينهما لعلها تنفع قبل وقوع الطلاق.

وفي حال تعذر الوفاق بعد الأخذ بهذه المراحل: يطلقها تطليقة واحدة في طهر لم يجامعها فيه. لإتاحة الفرصة لإعادة الحياة الزوجية بعد التطليقة الأولى ، لقوله تبارك وتعالى: **﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللهِ ، وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾** [البقرة: ٢٣٠].

وفي حالة وقوع الطلاق أوجب الإسلام على الزوج المتعة ، ونفقة العدة ، ونفقة الأولاد حتى لا تشقى المطلقة ، ولا يشقى معها أولادها ، لقوله سبحانه وتعالى: **﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾** [البقرة: ٢٣٦].

ممـــا عـــد وصمة في الإسلام اباحة الطلاق . ولذا ينبغي لنا أن تأتي ببيان ما سيكشف لك أن شاء الله وجه الصواب فيه . نقول :

أعلم أن الطلاق أباحة الله للمسلمين لأنه قد تدعو إليه الضرورة ، أما حيث لا ضرورة فسماه النبي صلي الله عليه وسلم أبغض الحلال إلي الله ، كما أن المسلمين اتفقوا علي النهي عنه عند استقامة الزوجين ، فمنهم من قال أنه نهي كراهة ، ومنهم من قال نهي تحريم وقد رأت الحنفية تحريم الطلاق بلا سبب ، ويؤيد ذلك أنه إضرار ، وقد نهي الـــنبي صـــلي الله عليه وسلم عنه في قوله : ((**لا ضرر ولا ضرار**)) ولقد كره النبي صلي الله عليه وسلم زيد زوجته زينب ، مع أنها كانت تكثر من إيذائه والاستخفاف به حســبما تقـــدم لنا آنفا ، أما الطلاق بسبب فلم يرفضه أحد ، ولكن اختلفوا في بيان الأســباب ، قـــال ابن عابدين : وأما الطلاق فالأصل فيه الحظر أي الحرمة ، والاباحة لـــلحاجة إلي الخلاص ، فإذا كان بلا سبب أصلا لم يكن فيه حاجة إلي الخلاص ، بل يكون حمقا وسفاهة رأي ومجرد كفران للنعمة وايقاع الإيذاء بها وبأهلها وأولادها فقد روي أبـــو داود وابن ماجة أن النبي صلي الله عليه وسلم قال " **أبغض الحلال إلي الله الطلاق** ". ولذا قالوا أن سببه الحاجة إلي الخلاص عند تباين الأخلاق وعروض البغضاء الموجبة عدم إقامة حدود الله تعالي ، فحيث تجرد عن الحاجة المبيحة له شرعا يبقي علي أصـــله من الحظر ، لذا قال تعالي : ﴿ **فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا** ﴾ أي لا تطلبوا الفراق اهـــ أما غير المسلمين ، فمنهم من لم يجور الطلاق أصلا إلا لزنا ، كالأمة الأنكليزية ، فأيهما اقترفه كان للآخر أن يرفع الأمر إلي المحكمة ليفصل القاضي بينهما. أمـــا أهل الولايات المتحدة بأمريكا فكانوا علي هذه السنة ، ثم وجودا أن هناك أسبابا

أخـــري يتحتم معها الطلاق ، ولكن لا فرقة عندهم إلا بقضاء قاض ، ولا بد لجميعهم أن يرجعوا إلي ما قرره الإسلام من الأسباب .

نعـــم أن الشريعة الإسلامية لم تقف تنفيذ الطلاق علي حكم الحاكم . وقصار النظر من الناس يرون أن الأول أعدل ، لأن فيه محاسبة الرجل والمرأة علي ما يعملان ، فـــلم يخل السبيل للرجال يفعل ما يريد . ولكن دين الاسلام أقوي ركنا وأحكم وضعا وأبعد مرمي ، فلم يفعل ذلك إلا لحكمة صالحة ، ذلك أن في تطبيق الطلاق علي حكم القاضي بثيوت الزنا أقبح تشهير للمقترف وأشنع سبة تنفر عن مرتكبه القلوب ، وتشوه سمعته في العالم ، ولا سيما في مثل هذا العصر الذي تطوف جرائده في الشوراع والأزقة والدكـــاكين والـــبيوت والمصـــانع ، وتنقل من أرض إلي أخري ومن يد إلي غيرها ، مشـــحونة بتفاصـــيل ما يعرض في المحاكم من هذه القضايا ، آتية علي ما قل منها وما جـــل. فمـــن ذا الذي يقبل علي تزوج رجل أو أمرأة قطعت سمعتها الشنعاء المشارق والمغـــارب ؟ يقضـــي ذلك الرجل وتلك المرأه ما بقي من العصر مرذولين مجفوين ولو ســـتقاما بعد ذلك وأصلـــا ، أما الاسلام فإنه جعل للقاضي فسخ الأنكحة في أمور لا بأس في اعلانها ، بل أن اعلانها هو المصلحة الكبري ، من ذلك : العنة والجنون والبرص والجـــذام والإعســـار بالنفقة والكسوة والمسكن ، مما تراه مبسوطا في كتب الفقه متي رجعت إليها.أما غير هذه الأسباب مما قد يزول أو لا كبير خطر في بقائه ، فللرجل أن يطـــلق من غير أن يكلف بيانا فيه . فما أجمل أن يكون ستار الشرع الذي يخفي كثيرا مـــن النقائض ، رجاء أن تزول من قبل أن يظهر عليها أحد ، وما أرأفه بالإنسان الذي قد يهفو ثم يبدو له فينيب.

هـــذا . وأعـــلم أن الديانة المسيحية لم تمنع الطلاق أصلا ، وغاية ما ورد في الانجيـــل أن من طلق امرأته وتزوج أخرى فهو زان ، وهذا لا تعرض فيه لحكم الطرق أصلا.

وأعلم أن الطلاق في الإسلام ، كما هو معلـــــوم ، حق من حقوق الزوج **﴿ الـرجال قوامون علي النساء بما فضل الله بعضهم علي بعض وبما أنفقوا من أموالهـم ﴾** ، ولكــن الإسلام مع ذلك قد جعل للمرأة ، كما تقدم ، أن تشترط في العقد أن تملك ذلك كما عليه الحنفية ، فإذا لوبما انفقوا من أموالهم ، ولكن الإسلام مع ذلك قد جعل للمرأة ، كما تقدم ، أن تشترط في العقد أن تملك ذلك كما عليه الحنفية ، فإذا لم تشترط ذلك هي أو وليها فقد أقرت الرجل علي الحق الذي حوله له الشرع . ولكن مع ذلك لا يجورز له أن يوقعه إلا حيث يراه الشرع حسنا صالحا.

هــذا و لم يعتـبر الاسلام زنا الرجــل من الأسباب التي تطلب بها المرأة فسخ الزواج ، ولا العكس ، إلا ممن قذف أمرأته أو رماها بالزنا أو نفي حملها ، ولا بينة له ، فإن له أن يلاعن زوجته وتلاعنه . ثم يفرق القاضي بينهما ، والسبب في أن هذه التفرقة لم تبن علي مجرد الزنا من حجيث هو زنا بل من حيث ما يستتبعه من الأحكام الدنوية المتعلقة بما عس أن يكون من الأولاد ، ولذا كان رمي المرأة الرجل بالزنا لا يصلح علة للفرقة بل أن لهذا حكما آخر ليس هذا موضو ع الكلام فيه .

فمما تقدم لنا هنا نري أن الاسلام لم يجر في جميع ما سردناه عليك هنا إلا علي مقتضــي أصــل الفطرة . فرفع شأن النساء حتى ساوين الرجال فيما يمكن من المزايا والحقــوق ، ثم لم يبخســهن شـيئا ، كما أباح للرجال ما أباح من تعدد الزوجات والطــلاق مقــرونا بما وضعه وقرره من الشروط – ولكن لو انصف الناس لاستراح القاضــي – حارب المسلمون دينهم وما شرط لهم ، فكان أكثرهم اباحيين لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون .

كــان الطــلاق قبل الإسلام منتشرا في جميع أمم العرب يهوديها ومسيحيها ووثيــنها ، وكذا بين الرومانيين ، فلقد اعتبر قانون ((الموائد الاثنى عشرة)) الطلاق جائــزا . أمــا ما تشدق به بعض المتشيعين لهم من أنهم لم يعملوا بهذا القانون إلا بعد

خمسة قرون مضت من عهد تأسيس مدينتهم ((رومة)) فلم يكن سببه ما يدعون من بعضهم للطلاق ، ولكن لأن الرجل في تلك القرون كان له أن يقتل امرأته عقابا لها على بعض الجرائم كالسكر ، فكانت عند الرجل كالرقيق ، كما أنها إذا طلبت من زوجها الطلاق اعتبر ذلك منها وقحة ونشوزا يخول له عقوبتها ، نعم أن الرومانيين في أخريات أمرهم أصلحوا كثيرا من شأن المرأة وانصفوها ، إذا ساووا بينها وبين الرجال في كثير من الأشياء .

يقـــول الأمـــير علي : أن المعتزلة لا يجوزون وقوع الطلاق إلا بحكم القاضي الشـــراعي العادل ، فلا بد أن يمتحن الأسباب بلا تحيز فيوقع الطلاق أو يرفضه حسبما يـــراه صالحا . ومن هنا يظهر أن من طوائف الإسلام من يعلقون وقوع الطلاق بحكم القاضي ، فلا يصح عندهم وقوع الطلاق من الزوج إلا بعد محاسبته وامتحان أسباب ما يرديه من الفرقة .

تعدد الطلاق

وأعـــلم أن مـــن أكبر الدلائل علي بغض الشرع للطلاق أن جعل للرجل أن يســـترجع أمرأته في الطلقة الأولي والقانية ، لأنه ربما كان التطليق لثورة غضبثارت فلم يملك نفسه حتى يتروي ويتدبر ، فرجا الشرع أن يرجع إليه رشده فيتدرك ما فرط منه حـــتى إذا طلق الثالثة وجبت عقوبته بعدم جواز الرجعة حتى تتزوج غيره لما تبين من أنه سفيه الرأي ضعيف العزم ، ولا يخفي ما في هذا الشرط من السر الحكيم ، وإذا أردت زيـــادة بيان فتدبر قوله تعالي : ﴿ وإن خفـــتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكمـــا من أهلها أن يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ﴾ يقول الله أن يريدا طلاقا يفرق الله بينهما إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما ؟

وتفهـــم قـــول الله ســـبحانه وتعالـــى : **﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾** فقال لتسكنوا إليها و لم يقل لتطلقوها . وقال وجعل بينكم مودة ورحمة ، و لم يقل بعضا وقسوة . وقوله تعالي **﴿ فإن أطعنكم فـلا تـبغوا عليهن سبيلاً ﴾** أي فلا تطلقوهن ، ومن هنا استنتج أن الأصل في الطلاق التحريم ، إلا لسبب كما تقدم لنا .

رأي الإمام الشيخ محمد عبده

ونريد أن نأتيك هنا بملخص ما كتبه الأستاذ الأمام الشيخ محمد عبده ، مما يناسب هذا المقام ليكون له احسن ختام :

طـالب الإسـلام بالعمل كل قادر عليه ، وقرر أن لكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت ، **﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾** **﴿ وأن ليـس للانسان إلا ما سعى ﴾** وأباح لكل أحد أن يتناول من الطيبات ما شاء أكـلا وشـربا ولباسا وزينة ، و لم يحظر عليه إلا ما كان ضار لنفسه أو لمن يدخل في ولايـته ، أو ما تعدي ضرره إلي غيره ، وحدد له في ذلك الحدود العامة بما ينطبق علي مصالح البشر كافة ، فكفل الاستقلا لكل شخص في عمله واستع المجال لتسابق الهمم في السـعي حـتى لم يعـد لها عقبة تتعثر بها . اللهم إلا حقا محترما ما تصطدم به . أنحي الإسلام التقليد وحمل عليه حملة لم يردها عنه القدر ، فبددت قيقاله المتغلبة علي النفوس ، واقتعلت أصوله الراسخة في المدارك ، ونسفت ما كان له من دعائم وأركان في عقائد الأمـم ، وصاح بالعقل صيحة أزعجته من سباته وخبت به من نومة طال عليه الغيب فيها كلما نفذ إليه شعاع من نور الحق خلصت أليه هينمة من سمدنة هياكل الوهم ((نم فإن الليل حالك والطريق وعرة والغاية بعيدة والراحلة كليلة والأزواد قليلة))

عـــلا صوت الإسلام علي وساس الطغام ، وجهر بأن الإنسان لم يخلق ليقاد بالزمام ، ولكنه فطر علي أن يهتدي بالعلم و بالإعلام ، أعلام الكون ودلائل الحوادث . وإنما المعلمون منبهون ومرشدون وإلي طرق البحث هادون .

صـــرح في وصـــف أهل الحق بأنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فوصـــفهم بالــتمييز بـــين ما يقال من غير فرق بين القائلين ليأخذوا مما علموا أحسنه ويطرحوا ما لم يتبنوا صحته ونفعه ، ومال علي الرؤساء فأنزلهم من مستوي كانوا فيه يأمـــرون ويـــنهون ، ووضعهم تحت أنظر مرؤوسيهم يخبرونهم كما يشاءون ويمتحنون مزاعمهم حسبما يحكمون ، ويقضون فيها بما يعلمون ويتقنون لا بما يظنون ويتوهمون .

صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الآباء وما توراثه عنه الأبناء ، وسجل الحمق والسفاهة علي الآخذين بأقوال السابقين ، ونبه علي أن السبق في الزمان ليس آية مـــن آيات العرفان ولا مسميا لعقول علي عقول ولا ذهان علي أذهان ، وإنما السابق واللاحـــق في الـــتمييز والفطرة سيان ، بلا اللاحق من علم الأحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل إليه من آثارها في الكون ما لم يكن لمن تقدمه من أسلافه وآبائـــه ، وقـــد يكون من تلك الآثار التي ينتفع بها أهل الجيل الحاضر ظهور العواقب الســـيئة لأعمـــال مـــن ســـبقهم ، وطغيان الشر الذي وصل إليهم بما اقترفه سلفهم ﴿ قل سيروا في الأرض فنظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ وأن أبواب فضل الله لم تغلق دون طالب ، ورحمته التي وسعت كل شيء لن تضيق عن دائب.

عـــاب أرباب الأديان في اقتفائهم أثر آبائهم ووقوفهم عندما اختطته لهم سير اسلافهم وقولهم ﴿ بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ﴾ ، ﴿ إنا وجدنا آباءنا علي أمة وإنا علي آثارهم مهتدون ﴾ .

١١ – الإثارات الجنسية

مـــن المسئوليات الكبري التي أوجبها الإسلام علي الآباء والأمهات أن يجنبو، أولادهـــم (بـــنين وبنات) كل ما يثيرهم جنسياً ويفسد خلقهم . وذلك حينما يبلغ الأولاد سن المراهقة ، وهو السن الذي يتراوح ما بين العاشرة إلي البلوغ.

ولقد أجمع علماء التربية والأخلاف المراهقة من أخطر المراحل في حياة الإنسان، فـــإذا عـــرف الآباء كيف أولادهم ؟ وكيف ينتشلون من أوحال الفساد فلا شك أن الأبناء ينشأون علي الخلق الفاضل ، والأدب الرفيع . والتربية الإسلامية السامية . ومما يـــدل علي أن الإسلام أمر الآباء والأمهات أ. يجنبوا أولادهم الإثارة الجنسية ، وهياج الغريـــزة ما روي الحاكم وأبو داود عن النبي ﷺ أنه قال : ((**مروا أولادكم بالصلاة وهـــم أبـــناء سبع سنين ، واضربوهم عيها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع**)).

فيؤخذ من هذا ، أن الآباء والأمهات مأمورون شرعاً بأن يفرقوا بين أبنائهم في المضـــجع إذا بلغوا سن العاشرة – مخافة – إذا اختلطوا في فراش واحد ، وهم في سن المـــراهقة أو ما يقاربها – أن يروا من عورات بعضهم البعض في حال النوم أو في حال اليقظة ما يثيرهم جنسياً ، أو يفسدهم خلقياً.

وهـــذا دليـــل قاطع علي أن الإسلام يأمر الآباء والأمهات أن يتخذوا التدابير الإيجابية ، والأسباب الوقائية لتجنيب الأولاد الهياج الغريزي ، والإثارة الجنسية ، حتى ينشأوا علي الصلاح والتقوي والفضيلة .

روي الـــبخاري أن النبي ﷺ أردف الفضل بن العباس رضي الله عنهما يـــوم النحر خلفه – وكان الفضل قد ناهز البلوغ – فطفق الفضل ينظر إلي امرأة

وضـــيئة من خعثم كانت تسأل النبي ﷺ علي أمور دينها ، فأخذ النبي ﷺ بذقن الفضل ، فحول وجهه عن النظر إليها .

وفـــي روايـــة للترمذى : أن العباس قال للرسول ﷺ لم لويت عنق ابن عمك ؟ فقال النبي ﷺ ((رأيت شاباً وشابة فلم آمن عليهما الفتنة)).

يؤخـــذ من هذا كله النبي ﷺ كان يهتم بتوجيه الولد المراهق أو الشاب البالغ بكـــل مـــا يصلحه خلقياً ويضبطه غريزياً. مخافة أن يقع في الفتنة . وهذه لفتة إسلامية كريمة من نبي الإسلام ﷺ في إصلاح الجيل وتربية الأولاد. ونستخلص مما سبق أنه يجب علي الآباء والأمهات أن يجنبوا أولادهم (بنين وبنات) كل ما يثيرهم جنسياً ، حتى لا يقعوا في حبائل الفاحشة والفساد ويتحقق ذلك بطريقتين :

١ – الرقابة الداخلية :

يجـــب أن يتـــبع الآبـــاء والأمهات قواعد الإسلام في منع كل ما يثير الأولاد جنسياً.

فدخـــول الأولاد (سواء بنات أو بنين) وهم في سن التمييز في أوقات الراحة والـــنوم بـــدون استئذان . مما يثيرهم جنسياً . لأن الأولاد – علي الغالب – يفاجأوا بالاطلاع علي حالة من تكشف العورات لا يحسن أن يروا أهلهم فيها .

لذا وجب علي الآباء والأمهات أن يعلموا أولادهم آداب الاستئذان .

– ونوم البنين مع البنات في مضجع واحد وهم في سن العاشرة وما بعدها . مما يـــثير الولد جنسياً ولا سيما حينما يضمه وإياهم غطاء واحد. لذلك وجب علي الأباء والأمهات أن يفرقوا بين أولادهم في المضاجع.

– عـــدم إفســـــاح المجال للأولاد ليروا في البيت علي شاشة التلفزيون المناظر المثيرة ، والتمثيليات الماجنة والدعايات الفاجرة مما يثيرهم جنسياً.

- وأن لا يــترك الحبل على الغارب للأولاد في أن يقتنوا ما يشاءون من صور عارية ، ومجلات مجانة ، وقصص غرامية مهيجة لهم ، دونما سؤال أو رقيب . مما يثيرهم جنسياً.

لذا وجب على الآباء والأمهات مراقبة أولادهم ، وأن يلقوا نظرة على مكاتبهم ليعرفوا كسف يرشدوهم ، وكيف يوجهوهم إذا رأوا معهم شيئاً محرماً.

إن إتاحة المجال للأولاد ليصادقوا فتيات من قريباتهم أو من فتيات الجيران وهم في ســن المراهقة من يشاءون بحجة الدراسة والاجتهاد . مما يثير الأولاد جنسياً. لذا وجب على الآباء والأمهات أن لا يفسحوا المجال لتوثيق العلاقة بين الذكور والإناث لما هذه العلاقات الغرامية من خطر كبير على الفضيلة والأخلاق.

٢- الرقابة الخارجية :

من أخطر الوسائل التي تثير الأولاد (بنات أو بنين) جنسياً وتوقعهم في الهلاك ما يلي :

*مفســدة السينما والمسرح : لما يعرض فيها من مفاتن الجنس ، واستثارات للشهوة ، ومظاهــر الفســاد والإباحية . حتى أن السينما والمسرح اليوم أصبحتا وسيلة للتحلل ، ومرتعاً للمجون والميوعة . بل صارت التجارة بالأعراض والجنس - عن طريق السينما أو المسرح - باباً للرزق عند أصحاب النفوس الهابطة الدنيئة .

* مفســدة الأزيــاء الفاضحة : فهي تستلفت نظر المراهقين والشباب ، فلا يستطيع أحدهــم أن يشــعر بشيء من الاستقرار أمام هذه المفاتن المبتذلة ، وأمام هذه الأزياء الفاضــحة. إنه لا يستطيع ملاحقة مواكب الحسان الفاتنات الكاشفات عن أجسادهن ببصره فضلاً عما يندفع بغريزته إلي ما وراء ذلك .

فتـتأزم نفسـية المراهق أو الشاب حينما يري الفتاة في الطريق تلبس الملابس الشفافة أو يراها علي الشاطئ وجسدها عار ، أو يراها في النوادي والحفلات في صورة مبـتذلة أو ملتهـبة ، فكـانت النتيجة أن هذه التيارات قد جرفت شبابنا إلي شاطئ العزوبية.

وذلك يرهق الأعصاب ، ويفسد الأخلاق ، ويصرف الشباب عن الجد والعمل والبناء .

إن المرأة المسلمة مطالبة أن تحيا في حدود الأخلاق والمبادئ والأصالة الإسلامية وأن تحـافظ عـلي اسـتقامة المجتمع وطمأنينته ، وأن ترحم المراهقين والعزاب بمظاهر الحشمة والكمال . وبما ترتديه في زي الجلاليب والحجاب ، وإلا فإنها تعتبر

شرعا حائدة عن مبادئ الإسلام في متاهات الفسق والعصيان ، منقادة للضلال.

يقـول المولي سبحانه وتعالـى : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ولا شك أن للصحبة الفاسدة أثرها الأكبر في الإفساد والإغواء ، فالولد سواء كان ذكر أم أنثي إذا كان خاوي العقيدة فارغ الخلق ، ميت الضمير ، يخالط الأشرار ، ويصاحب الفجار ، فلا بد أن ينتهي إلي هذا المصير المخزي ، والنهاية الأليمة ، وما ذاك إلا لإهمال الرقابة المترلية من الأبوين . أو لتأثيرات الفساد الاجتماعي الذي استشرى في المجتمع في كل مكان.

والذي أحب أن أقوله بعدما تقدم :

أن المـربين جميعاً من آباء وأمهات . ومصلحين ومعلمين . إذا أخذوا بوسائل الإسلام الإيجابية من توعية وتحذير في صلاح الولد وتربيته وإعداده ، فإن الولد أو البنت يتجـنب كل ما يثيره جنسياً ويفسده خلقياً. ويبتعد عن أسباب الفساد، وعن عوامل

الميوعة والإنحراف. بل يكون قمر هديه ، وشمس إصلاح وملكاً يمشي علي الأرض .. لصفاء نفسه ، وطهارة قلبه وكريم أخلاقه .

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق.

والفتاة إذا طبقت بعد ذلك تعاليم الإسلام وتوجيهاته صارت مثالاً حياً للدين والخلق فإنها بذلك تعري الشاب بالإقدام ليتسلم منها مفتاح بيت الزوجية .

اللهم وفق الآباء والأمهات جميعا لأن يأخذوا بمنهج الإسلام في تربية الأولاد . حتى ينجوا من المسئولية بين يديك في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون حتى يروا الجيل المسلم في تطبيق شامل لإسلام ، وفي التزام كامل لمبادئ القرآن .

الإيمان بالله ... وأن تكون أعمالك خالصة لوجهه ... موافقة لشريعة الإسلام

ابنتي الحبية :

إن لكل عمل ناجح أسساً وسبلاً عليها ، ولا بد أن تكون له بعض الصافات حتى يكون مقبولاً. ومن هنا فحتى تكون الشخصية الإسلامية متكاملة في تصورها وانتمائها لابد أن تتصف ببعض الصفات .

وفي هذه العجالة — ابنتي الحبيبة — أقدم لك بعض هذه الصفات التي أراها أساسية في تكوينك حتى تكوني صورة حية متحركة لإسلامنا العظيم (ديننا الخالد). وهذه الصفات — ابنتي الحبيبة — تتمثل في :

اولا: الإيمان بالله :

إيمـــانك بالله الخالق ... الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد و لم يولد ... و لم يكن له كفواً أحد .

فبالإيمان بالله وحده — ابنتي الحبيبة — تستطيعين أن تصمدي في مواجهة صراع الحياة ومغرياتها وفتنها .

إذا الإيمان ضاع فلا أمـــــــان   ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير جين فقد   جعل العناء لها قرينا

إن الإيمان بالله هو :

- أساس الفضائل .
- ولجام الرذائل.
- وقوام الضمائر.
- وسند العزائم في الشدائد.
- وعماد الرضي والقناعة بالحظوظ.
- ونور الأمل في الصدور .
- وسكن النفوس إذا أوحشتها الحياة .
- وعزاء القلوب إذا نزل الموت أو قربت أيامه.
- والعروة الوثقى بين الإنسانية ومثلها الكريمة .

لقد خلق الله الإنسان ، ورفعه وكرمه ، وميزه بهذه النفس العاقلة المفكرة ، التي علمه بها الأسماء كلها ، وجعله خليفة على أرضه ، وصيره بها فوق الملائكة ، وكتب الفلاح لمن زكاها ، والخيبة لمن دساها . قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ۷-۱۰] فكيف نزكي أنفسنا؟

إننا نزكيها بالتفكير ، حتى تتسامى إلى مثلها الأعلى وتصل إلى (اليقين) من الحق والخير والجمال ، فترى الله عنده ... وتجد حلاوة الإيمان ما تدرك به سر شقائها وسعادتها وضعفها وقوتها ، وعجزها وقدرتها ، وعبوديتها وحريتها ... بل سر خلقها ، وبذلك تفهم معنى العبودية الخالصة لله ، فيستقيم معنى العبادة ، لذلك كان حقا علينا ، من باب الحاجة والضرورة ، بل من باب الحق والعبادة والتقوى ، ومن أجل سلامة عقولنا ، وسلامة قلوبنا ، وسلامة ضمائرنا ، وسلامة إنسانيتنا ومثلها العليا وسلامة المجتمع ، أن نؤمن بالله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله. بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وتركنا على المحاجة البيضاء ، ليلها كنهارها . لا يزيغ عنها إلا هالك ... فنعوذ بالله من المهالك.

ثانيا : تربية الضمير المسلم :

يقول الفيلسوف الإسلامي الكبير (ابن مسكويه) في كتابة الموجز الجليل " تهذيب الأخلاق " (إن المزية الوحيدة التي يتميز بها الإنسان عن الحيوانات الكثيرة كلها هي مكارم الأخلاق). هذه المزية الخاصة هي (الأخلاقية) التي تتجلى (بالضمير الإنساني) .

فالحيوان يعقل ، وقد ترى فيه قوة التعقل كما في بعض القرود ، ولكنه لا يفهم معنى (الأخلاقية) ولا يمكن أن يكون له الشعور الذي نسميه (الضمير) .

فأخلاقياتنا ، إذا هي المزية الوحيدة التي نثبت بها (إنسانيتنا) ، وإذا خرجنا من هذه المزية عدنا إلي مرتبة الحيوانات ، بل كان كل حيوان ، بمزيته الخاصة ، خيراً منا ، لأننا فقدنا ميزتنا الخاصة ، وليس لنا مزاياه.

هكـــذا قـــال ابن مسكويه ، وهكذا من بعده بعصور جاء دارون يقول : إن الضـــــــمير أو الحس الأخلاقي هو أظهر فاصل يفرق بين الإنسان والحيوان . وجاء " كانط" يتخذ من هذا الشعور الأخلاقي منطلقاً لإثبات خلود الأرواح ويوم الحساب ، ووجـــود الله الحكـــم العدل القدير . هذا الضمير الأخلاقي إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة ، النافذة من وراء حجب الخفاء ، شيء واحد : وهو الإيمان بوجود الله الحكم العدل القدير.

وإذا أيقـــن الإنســـان بإطلاع الله علي حركاته وسكناته ، وعلمه بخفي أمره وجليه ، أدرك أن الله معه حيثما كان : ﴿ وَهُـوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ [الحديد: ٤] فاستحيا من الله المرافق له ، الرقيب عليه ، القريب منه ، فخشيه بالغيب ، وخافه علي كـــل حـــال ففـــاز بالخير في أولاه وأخراه : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الـرَّحْمَنَ بِـالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس:١١] وقال تعالي : ﴿ إِنَّ الَّذِيـنَ يَخْشَـوْنَ رَبَّهُـم بِـالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَـرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٢-١٤].

ومـــتي تحققت هذه الخشية ، تحقق الضمير الإسلامي المصاحب الدائم الذي لا يخـــون ، والذي يبلغ بصاحبه درجة الإحسان ، وهي أعلي مراتب العبادة في الإسلام ، قـــد عـــبر الرســـول ﷺ عن هذا الإحسان بما نفهم منه أنه سيطرة الضمير الديني علي صـــاحبه ، حتي لا يدعه يهفو أو يغفو ، فيقول ((**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك**)).

ولــد سأل رجل النبي ﷺ : كيف يزكي المرء نفسه ويصفيها ؟ فأجابه ((**أن يعلم أن الله معه حيثما كان**)).

وفي رواية أخري ((**إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت**)).

وهذا أحد حكماء الإسلام يقول : إن أكبر مقومات الضمير هو الاعتقاد بإله قــادر ، يحاسب علي الكبائر والصغائر . ويطلع علي ما تكنه السرائر وبحياة بعد هذه الحياة ، يثاب أو يعاقب فيها الإنسان علي ما قدمت يداه ، فكل تربية وكمل تعليم لا يغنيان عن صاحبهما شيئاً ما دام صاحبه مقفرا من هاتين العقيدتين ، وهذا هو المشاهد المحــس ، فإن الناس في أيام جهالتهم ، وعدم انتشار التعليم فيهم ، كانوا بفضل هاتين العقيدتــين أفضل حالاً ، وأقوم أخلاقاً مما هم عليه اليوم ، يشهد بذلك كل من اطلع علي التاريخ ودرس أحوال الأمم في أدوارها المختلفة .

والمراقبة لله من الداخل وفي الأعماق هي التي تحسن قيادة الأعضاء والأطراف ، فــلا يكــون من الإنسان ما يسوء أو يعاب في تصرفاته أو حركاته ، وبذلك قال ابن حسرومه الطوسي : من راقب الله في خطرات قلبه ، عصمه الله في حركات جوارحه .

وحينما كانت هذه المراقبة متحققة في أبناء الإسلام كان الحياء من الله يسيطر عليهم فيعصمهم من الخلل والزلل ، حتي في حالة الانفراد وعدم اطلاع الناس ، وكان مــنهم من يبالغ في ذلك ، فكان خيار المتعبدين مثلاً يخجلون من كشف عوراتهم وهم مــنفردون ، لأنهــم يــتذكرون أن الله تعالي معهم ، لا يغيب عنهم ، ولا ينقطع عن الإطلاع عليهم ، فلكل منهم يقول لنفسه :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل	خلوت ، ولكن قل : علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة	ولا أن ما تخفيه عنه يغيب.

ويـــروي أن السيدة عائشة رضي الله عنها كانت تتحفظ عند قبر النبي ﷺ بعد أن دفن عمر -رضى الله عنه- إلي جوار النبي ﷺ وأبي بكر الصديق -رضى الله عنه- . وحكـــت ذلك فقالت : ((**مازلت أضع خماري وأتفضل في ثيابي وأقول : إنما زوجي وأبي حتى دفن عمر بن الخطاب ، فلم أزل متحفظة حتى بني بيني وبين القبور جدار فتفضلت بعد**)).

ومما يستحق الثناء والتقدير في هذه الخشية ما يروي أن شاباً غراً رواد فتاة مؤمنة عفيفة عن نفسها ، وقد أقبل الليل وانتشر الظلام ، فتأبت عليه قائلة : (أما تستحي؟) فقال لها : (ومن أستحي وليس أمامنا إلا الكواكب ؟!) فأجابته الفتاة زاجرة مؤدبة : (فأين مكوكبها؟) أي فأين الله مبدعها جل جلاله؟!.

وقصـــــة عمـــر مع ابنة بائعة اللبن مشهورة ، وسلطان الضمير الديني لائح واضح ، فقد سمع عمر وهو يتفقد أحوال رعيته بالليل امرأة تقول لابنتها داخل البيت : يا ابنتي قومي اخلطي اللبن بالماء ، فأخبرتها الفتاة أن منادي الخليفة عمر ، قد نادي بألا يخـــلط الـــلبن بالمـــاء ، فقالت لها الأم : إنك في مكان لا يراك فيه ولا منادي عمر ، فأجابـــتها البنت المؤمنة مستنكرة مذكرة : لا والله يا أماه ، فما كنت لأطيعه في الملأ أعصيه في الخلا إن كان عمر لا يري ، فرب عمر يري .

فتعلم عمر ﷺ عنه هذا البيت ، وكافأ هذه الفتاة المؤمنة علي يقظة ضميرها بأن زوجهـــا لابن أمير المؤمنين "عاصم" فأنجبت بنتاً تزوجها عبد العزيز بن مروان فأنجبت خامس الخلفاء الراشدين " عمر بن عبد العزيز " ﷺ.

وكم من عوام نراهم أسلم صدوراً وأطهر تصرفاً ، وأحسن أخلاقاً من بعض الآثمين من المنفقين والمتعلمين ، لأن العبرة هنا بسلامة الصدور وطهارة القلوب وحياة الإيمان قال تعالي : ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾

[الشعراء: ٨٨ ، ٨٩] وقال تعالي : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾ [ق:٣٧].

والقلب كمال قال أحد العلماء : متى ثارت فيه ثوائر الشهوات لم تستطع أن تــردها قوة العلم والثقافة ، لأن النفس تجد من كليهما مخرجاً بالتستر أو سواه ، ولكن تســتطيع أن تـــردها قوة العقيدة بالله ، وقد صلحت هذه القوة أن ترد عن الشهوات جماعـــات لم تنل من العلم ولا الثقافة شيئاً يذكر ،ويوم يجتمع العلم والدين تكتمل قوة الضمير الصالحة في نفس الإنسان .

والذيـــن يؤمـــنون بـــالله ويعتقدون في يوم الجزاء ، قد يهفون أو يزلون لما في الإنسان من حظ النقص ،وجل من لا يخطئ ولا يسهو ، ولكنهم سرعان ما يفيئون من زلـــلهم ، ويـــتوبون إلي ربهم ، ويعاودون الاستقامة علي طريقهم ، لأن هاتفاً قوياً في أعمـــاقهم هـــتف بهـــم أن ربهم مطلع عليهم ، وأنه بالمرصاد ، وأنه الغفور الرحيم ، وصـــاحب العـــــذاب الأليم ، في وقت واحد ، وهذه الإنابة تجعلهم علي الدوام يقظين .محترسين مقومين لما يعرض لهم من خلل أو انحراف.

يقول الله تعالي : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عـليم * إن الذيـن اتقـوا إذا مسـهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون * وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون** ﴾.

والـــنزغ هـــنا أقل وسوسة تكون ، فأمر الله أن يهرب من الوسوسة بالمراقبة والتذكر ، وأن يلجأ إلي الله بحماه ، حتى لا يركن إلي هذه الوسوسة أو يستجيب لها ، والمتقون لربهم إذا بهم شيء من جهة الشيطان تنبهوا واستيقظوا ، **فإذا هم علي بصيرة مـــن الأمر** . وحذر من السوء ، **وأما الفجار فإن الشياطين تسرف في إغوائهم دون ارعواء أن انتهاء** .

هـــذا الضمير الأخلاقي ، إنما يصونه الصيانة الكاملة الدائمة الساهرة ، النافذة من وراء حجب الخفاء ، شيء واحد ، وهو الإيمان بوجود الله الحكم العدل القدير وأن تكون أعمالنا خالصة لوجهه ، موافقة لشريعته سبحانه وتعالى . وبذلك تتحقق إنسانيتنا . فتحقيق إنسانيتنا ضرورة اجتماعية ، وإنسانيتنا لا تتحقق إلا بأخلاقيات ، وأخلاقياتنا لا تصـــان إلا بالإيمان ، فالإيمان إذاً أمر ضروري لأنه يمسك أخلاقياتنا التي تثبت بها إنسانيتنا.

المبحث العاشر

نصائح غالية للفتاة المسلمة

للفتاة المسلمة المؤمنة آداب عليها أن تلتزم بها وتحيا عليها طوال حياتها ، كما أن لها أخلاقاً حسنة هي قوام سعادتها . فإن رزقت هذه الأخلاق وتلك الآداب رزقت كل خير ، وإن حرمت منها حرمت من كل خير ، وجميعنا يتساءلون الآن. ما هي تلك الآداب والأخلاق التي يجب أن تتحلى بها الفتاة المسلمة المؤمنة ، وتجمل وتكمل حياتها بها ؟

١- **الحياء والاحتشام** : فالحياء أخو الإيمان ، وجماع البر الإحسان ، وهو لا يأتي إلا بالخير ، فاستحي أيتها المسلمة من الله تعالي حق الحياء ، فلا يراك علي ما يكره . واستحي من ا لملائكة فلا تنكشفي في خلوتك ما استطعت ، واستحي من زوجك وأهلك وجميع الناس ، فلا تقولي قولاً يجانب الحشمة والحياء.

٢- **الصـــبر** : وهو أن تلزمي نفسك بالطاعات وفعل الخيرات بلا ملل أو ضجر ، كما تلزميها بالبعد عن المعاصي وعن كل أخلاق سيئة كالكذب والخيانة والغش والخســة والكــبر والعجب ، والبخل ، وعليك بإظهار الرضا بحكم الله وأقداره وقضائه .

٣- الصمت : وحسن الصمت فقللي أيتها الفتاة المسلمة من الكلام ولا تتكلمي إلا بخير ، وإذا تكلمت فأوجزي في الكلام ، وقولي المعروف دائماً ، قال الحق تبارك وتعــالي في تأديب النساء : ﴿ **فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى** ﴾ [الأحزاب : ٣٢، ٣٣].

٤- اتصفي دائما من نفسك : فإن الإنصاف والعدل من حسن الإسلام . وعاملي زوجك كما تحبين أن يعاملك ، وأكرهي لغيرك ما تكرهينه لنفسك . وأحبي لأهلك وأقاربك وسائر المؤمنين ما تحبين لنفسك ، ففي الحديث الصحيح :
((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).

٥- اجعلي الصفح والعفو من شيمك: فلا تقابلي السيئة بالسيئة ، ولكن بالحسنة وبالكلمة الطيبة ، قابلي الجفاء والغلظة من أفراد عائلتك وأقاربك وجيرانك بالعطف والرحمة واللين . إن علت أصواقم اخفضي صوتك ، وإن قبحت كلماقم فجملي لفظك ، بهذا تملكين قلوبهم ، وتظفرين بودهم وقربهم وحسن معاملتهم .

٦- اجعلي النظافة من سماتك : فاعتني بنظافة ثوبك وجسمك ، ومسكنك ومضجعك ، فإن النظافة من الإيمان ، وكذا نظافة أبنائك ثيابا وأبداناً وألسنة .

٧- وعليك أن تلتزمي بالحجاب الإسلامي الصحيح الذي يستر جميع بدنك ومفاتنك : ولا تتزيني إلا لزوجك ، ولا تكثري الخروج من البيت ، فإن خروج المرأة إلي الشارع غير محمود ، إذا يؤدي بها إلي فقط الحياء ، والحياء أخو الإيمان ، فإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان ، وأجمل ما في المرأة المؤمنة حياؤها.

٨- وعليك أيتها الفتاة المسلمة ألا تعرضي نفسك لرؤية الناس بالوقوف أو الجلوس علي الأبواب ، أو بالاستشراق من فوق الأسطح والشرفات . فإن ذلك مخل بالأدب مؤد للفتن ، فالزمي بيتك أيتها المسلمة قدر استطاعتك تفوزي برضا ربك.

٩- لا تنسي المحافظة علي الصلوات الخمس بأدائها في أوقاتها في خشوع وخضوع.

١٠- وعليك بالتزام طاعة زوجك إن كان لك زوج ، أو أبويك أو أحدهما إن كنت غير متزوجة ، بأن تستحيي لهم ، وتنفذي أوامرهم وتحدثيهم حديثاً حسناً . وتخفضي صوتك أمامهم .

١١- عـــليك بالعناية بأولادك ، وتعليمهم وغرس القيم والأخلاق الفاضلة فيهم ، هذا بالإضـــافة إلي عنايـــتك بشئون بيتك في نظافة وترتيب وإعداد الطعام أو التراب والعمل علي أن يكون سكناً مريحاً هادئاً.

((تم الكتاب بحمد الله تعالـــى وتوفيقه))

مراجع الكتاب

١- الزواج والجنس – محمد الخشت – د رسة من منظور الإسلام والمعارف الحديثة – مكتبة هائم للنشر والتوزيع .

٢- الـــزواج الإسلامي السعيد وآداب اللقاء بين الزوجين – أبو حامد الغزالي – تحقيق محمد عثمان الخشت – مكتبة القرآن للنشر والتوزيع.

٣- النبي والبنات – عبد المعز خطاب – دار الاعتصام .

٤- حواء التي انصفها الإسلام – حسن علي حمدان – دار الإسراء للنشر والتوزيع.

٥- المرأة ومكانتها في الإسلام – ط٢ – أحمد عبد العزيز الحصين – مكتبة الإيمان.

٦- الإسلام والأسرة – د.محمود بن الشريف – من مطبوعات مجمع البحوث.

٧- التوجيه الإسلامي للشباب – من بحوث مؤتمرات مجمع البحوث الإسلامية – الشركة المصرية للطباعة والنشر – (١٩٧١م – ١٣٩١هـ).

٨- سيكولوجية الطفولة والمراهقة – د.هناء يحيى أبو شهبه – (١٩٨٩م- ١٤٠٩ هـ).

٩- مســئولية المرأة المسلمة – عبد الله بن جار الله بن إبراهيم الجار الله – مكتبة زهران .

١٠- من ست شمعات حتى سن المراهقة – د. أحمد السعيد يونس – دار نهضة مصر.

١١- المرأة المسلمة – الشيخ محمد متولي الشعراوي – مكتبة زهران .

١٢- الزواج والعلاقات الجنسية في الإسلام – عادل عبد المنعم أبو العباس – مكتبة القرآن .

١٣- قضـــايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة – محمد الغزالي .ط.دار الشروق (مكتبة الأسرة) – ١٩٩٩ القاهرة .

١٤- الصـــفات المطلوبة في البنت والزوجة - - كيف أختار شريكة حياتي عكاشة عبد المنان الطيبي .

١٥- تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن) للابن جرير الطبري المتوفي سنة ٥٣١٠(١-١٦) تحقيق محمود محمد شاكر القاهرة .

١٦- الأســـرة في ضوء الكتاب والسنة – د. السيد أحمد فرج – دار الوفاء للطباعة والنشر – القاهرة ط. أولي ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

١٧- أهـــداف الأســـرة في الإسلام والتيارات المضادة . حسين أحمد يوسف – دار بوسلامة تونس الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

١٨- بـــر الوالدين وحقوق الآباء والأبناء والأرحام – أحمد عيسي عاشور – مكتبة القرآن .

١٩- كتاب المرأة المسلمة – أبو بكر جابر الجزائري – دار الريان للتراث.

٢٠- تربية الأولاد في الإسلام – الجزء الأول والثاني – عبد الله ناصح علوان – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١- النصائح الذهبية للشباب – د. موسى الخطيب – دار الجيل .

٢٢- حواء التي أنصفها الإسلام – حسن علي مصطفي حمدان .

٢٣- إحياء علوم الدين للغزالي .

٢٤- السياسة لابن سينا.

٢٥- مقدمة ابن خلدون .

٢٦- صحيح البخاري ط. دار الشعب القاهرة .

٢٧- صحيح مسلم بشرح النووي .

٢٨- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي - ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة

٢٩- مسند الأمام أحمد تحقيق الأستاذ أحمد شاكر .

٣٠- مفتاح كنوز السنة. الدكتور أ..ي منسنك ت محمد فؤاد عبد الباقي ط.مصر.

٣١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حج العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢)؟ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط.أولي ١٤١٠هـ - ١٩٨٩.

٣٢- نيل الأمطار للشوكاني - مكتبة دار الحديث - القاهرة .

٣٣- الحجاب / أبو الأعلي المودوي .

٣٤- المرأة وحقوقها في الإسلام - نشر الطرازي الحسيني.

٣٥- حقوق النساء في الإسلام - محمد رشيد رضا.

٣٦- المرأة في الإسلام وفي الحضارة الغربية الحديثة / محمد جميل بيهم .

٣٧- فقه السنة للشيخ سيد سابق - مكتبة دار التراث القاهرة .

٣٨- الفتح الرباني لابن تيمية .

٣٩- الأسرة المسلمة وقضايا العصر - أحمد عبد الرحيم السايح وصبري عبد الرؤوف - دار الطباعة المحمدية - مصر.

٤٠- البيان والتبين للجاحظ -ط عيسي الباعي الحلبي وقف علي طبعة : محب الدين الخطيب ، ١٣٣٢ هـ - القاهرة .

٤١- تحفـــة الـــودود في أحكام المولود للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية – ط أولي – تحقيق عبد المنعم – دار الكتب العربية بيروت ١٤٠٣هـــ – ١٩٨٣م.

٤٢- تفسير في ظلال القرآن الكريم للأستاذ سيد قطب.

٤٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير .

٤٤- الحلية لابي نعيم .

٤٥- سنن النسائي لشرح السيوطي وشرح الندي طبع بيروت .

٤٦- رياض الصالحين لمحي الدين بن شرف النووي – دار الحديث .

٤٧- تحفـــة الأحوذي بشرح جامع الترمذي – راجعة عبد الرحمن محمد عثمان – المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ٣٨٥هـــ – ١٩٨٣م.

٤٨- أدب الدنيـــا والدين لأبي الحسن الماوردي – تحقيق مصطفي السقا – المكتبة العلمية بيروت ط ٢ ١٣٩٨هـــ – ١٩٧٨م.

٤٩- الإســـلام ديـــن الفطرة والجرية – الأستاذ عبد العزيز جاويش – دار الهلال بالقاهرة .

٥٠- أسرار السعادة والنجاح – من منظور إسلامي – د. موسي الخطيب.

[الفهـرس]

الموضـــوع	الصفحة